

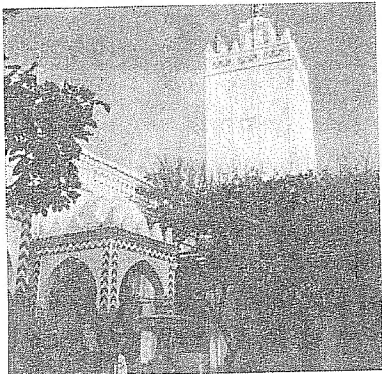
الوعيد الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة — العدد ١١٢ — غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ — أبريل ١٩٧٤ م





الجامع الكبير في مدينة الجزائر
وهو من أقدم مساجد العاصمة
والمرجح أنه شيد بين ٤٠٧ و ٤٧٥ هـ
وتبدو في الصورة منارته
(صومعته) المربعة والقبة التي تعلو
المطهرة .

الذين :

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٢

غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ

أبريل ١٩٧٤

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بلكويت في غرة كل شهر عربي
الإشتراك السنوي للهيئات فقط
أما الأفراد فيشتركون راساً
مع متمد التوزيع كل في قطره

٥. فلسا

١ ريال

٧٥ فلسا

٥. فلسا

١٠ قروش

١٢٥ مليما

دينار وربع

درهم وربع

٧٥ فلسا

٧٥ فلسا

٥. قرشا

٤. مليما

الكويت

السعودية

الصراق

الأردن

ليبيا

تونس

الجزائر

المغرب

الخليج العربي

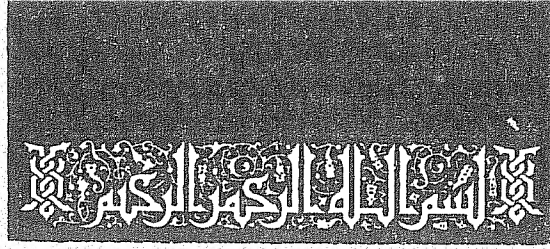
اليمن وهدن

لبنان وسوريا

مصر والسودان

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد : ١٣ - الكويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨



احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيع الأول ، وقد افتتح

الحفل كما اختتم بآيات الذكر الحكيم ، وارتجل الأستاذ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الكلمة التالية فى الحفل :

رسول الإنسانية

أيها الأخوة ،

يحتفل العالم الإسلامى اليوم بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم .
ولذكرى الأبطال وأعمال الرجال الجلييلة تقدير فى نفوس الأمم والشعوب ،
لذلك فإن الأمم الواعية تعزز بميلاد زعمائها وتحتفل بأبطالها الذين أثساعوا
النور فى بلادها ، والمسلمون اليوم من المشرق الى المغرب يحتفلون بهذه
الذكرى العظيمة ، ذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه
وسلم . واننا حين نحتفل بذكرى محمد ومولده صلى الله عليه وسلم
انما نحتفل بذكرى ايجاد المجتمع الإسلامى الفاضل ذلك المجتمع الذى
تفوق على المجتمعات المادية والراسمالية ، هذا المجتمع الفاضل الذى جمع
الفضائل وزواج بين المادة والروح فقام على بناء الانسان .. حقا

ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الانسان الذى أوجد المجتمع الفاضل بنى الانسان بالمثل العليا والفضائل الكريمة بعث فيه الروح التى عمت أعماله وحركاته وسكناته . أوجد فيه الفضائل الكريمة والمزايا الحميدة التى يقوم عليها ذلك المجتمع الفاضل ، ان الاسلام اهتم بالانسان قبل أن تهتم به الأمم المتحدة وقبل أن تهتم به الدول الشرقية والغربية .

لقد خلق الاسلام للانسان العزة والكرامة « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

نعم لقد كرم الله الانسان « والعصر » ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

أيها السادة :

ان الجسد والمجتمع بلا روح كالخشب والحجر لا رحمة فيه ولا انسانية فالمجتمع الذى يتكون من بنى الانسان لا بد أن تكون به العواطف الانسانية ، لا بد أن تتحرك فيه المثل الانسانية . لا بد أن تتحرك فيه العواطف النبيلة والأخلاق الفاضلة الحميدة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » حقا يا محمد لقد بعثك الله رحمة للعالمين .

أيها السادة :

احتفلت الأمم المتحدة منذ مدة بحقوق الانسان والقى بعض المندوبين المسلمين خطبة فى هذا الاحتفال وذكر فيها آية من القرآن الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام فسمع هذه الآية أحد السياسيين الكبار وذهب يبحث فى الكتب عن تفسيرها ومعناها ولما لم يجد اتصل بأحد العلماء المسلمين يسأل عن معنى هذه الآية وتفسيرها فأدرك هذا الشيخ انه يعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » فدل على تفسيرها وشرحها ومعناها فصاح عجا فوق عجب : كيف أن هذه الآية تعالج حقوق الانسان ، تقرر المساواة وتعالج التفرقة العنصرية وكل ما أتى به ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الانسان قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمان . انه الاسلام أيها السادة انه القرآن الذى نزل على نبيكم والذى يتعجب منه الناس اليوم . انه الأخلاق الفاضلة انه المثل العليا انه القواعد الانسانية التى يجب أن تقوم عليها المجتمعات الفاضلة . ان الاسلام ربى فى المسلمين الشعور الطيب ، ومن ذلك نجد فى سورة الانسان

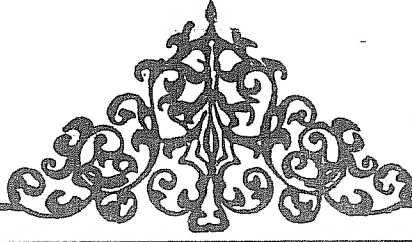
((ويظعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا)) نعم من يعمل الخير ومن يؤثر الناس على نفسه . لقد ربى الاسلام فى الناس المثل العليا ، ربى فيهم الروح الى جانب الجسد . ربى فيهم الايثثار فقد كان أهل هذا البيت فى أمس الحاجة الى الطعام ولكنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفى معركة اليرموك يسقط بعض الجرحى من المسلمين فى ساحة الجهاد فى سبيل الله فيأتى شخص بالماء الى أحدهم يطلب الماء فيسمع أنينا حوله ينادى بالماء فيقول له اذهب الى فلان فيذهب اليه فيسمع الآخر أنين أخ له ينادى بالماء فيقول له اذهب الى أخى ويذهب الى الثالث ليسقيه الماء فيجده قد مات ويرجع الى الثانى فيجده قد مات ويرجع الى الأول فيجده قد مات . انه الايثثار . انه الاسلام . انه الروح التى بعثها محمد صلى الله عليه وسلم فى أتباعه . انه صلة الانسان بخالقه عز وجل . انه صلة العبد بربه التى يبتغى من ورائها الأجر والثواب من عند الله لا من عند بنى الانسان ، فان الانسان يحب ويكره لأجل المصلحة المادية والمنفعة المؤقتة ، ولكن العمل الصالح الخالص لوجه الله هو الذى يبقى دائما وهو الصلة التى تربط العباد بعضهم ببعض ومن هنا نجد أن الاسلام حرص كل الحرص على أن تكون أفعالنا وحركاتنا وسكناتنا تقاس بمقياس الاسلام وتوزن بميزان الاسلام أن خيرا فخير وأن شرا فشر ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ولقد أعجبنى ما رايت فى الدورة الرياضية التى أقيمت فى الكويت رايت الروح الرياضية التى يتحلى بها شبابنا من حب وإخاء بين الفئالب والمطلوب ، انها الروح الرياضية التى يسمونها ، هى أخلاق الاسلام ، هى الروح الاسلامية التى يجب أن يتمسك بها كل مسلم ، يجب أن يتمسك بها الكبار والصغار والشباب والشيب الرجال والنساء ، هذه المثل العليا هذه الأخلاق الفاضلة التى تميز المسلم عن غير المسلم ، هذه الأخلاق هى التى تميز المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات الفاسدة وكلنا يعلم أن بعضنا قرأ فى الصحف فى هذه الأيام أن بعض الناس فى البلاد الأوروبية خلعوا ملابسهم وساروا فى الشوارع عراة ولدتهم أمهاتهم ، اذا لم تستح فاصنع ما تشاء . واننا نخشى أن تسرى هذه العدوى الى بلاد المسلمين ، لأن المسلمين مع الأسف بدأوا يتركون أخلاقهم وأخلاق نبيهم ومثل دينهم التى أمروا أن يتبعوها وبدأوا يتخلون عن هذه الأخلاق الفاضلة ويقلدون الغرب فى كل ما يأتى منه من مفاصد واننا نحذر كل الحذر من اتباع هذه الأخلاق الفاسدة التى تدمر المجتمعات وصدق الله اذ يقول : ((وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها

القول فدمرناها تدمروا » . اننا يجب علينا أن نتمسك بأخلاقنا وديننا وشيئنا وعاداتنا الأصيلة التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، يجب أن نتمسك بأخلاق العرب الفاضلة الكريمة التي تركوها لنا وأن نزيد عليها من فضائل الاسلام التي جاء بها ، يقولون ان هذا العري حرية .. لا .. إنه موضى . انه جنون . انه نزوة وطيش .

ان الحريات أيها المسلمون اذا اطلقت دون أن تقيد ودون أن توزن وتقاس بميزان الاسلام ومقياس الاسلام فائها ستكون وبالا وفسادا . كثير من الناس اتخذوا من الحرية السياسية والديمقراطية منطلقا لفكران الدين ونكران العقيدة ونكران الفضائل الحميدة ، وكثير من الناس اتخذوا من الحريات واطلاقها طريقا للنيل من الناس في صحفهم وفي جرائمهم ومجالاتهم ، وبعض الناس اتخذوا من الحرية طريقا لاعطاء المراه مزيدا من التحلل والاباحية ، وكثير من الأعمال الفاسدة ارتكبت لتدمر المجتمع باسم الحريات الشخصية وحريات العقيدة حتى أفسدوا العقيدة ، وهؤلاء لا يريدون الا دمار مجتمعاتنا كما دمرت مجتمعات الغرب ، واننا كمسلمين نرفض هذا المبدأ لأن ديننا الحنيف لا يرضى بالحريات المطلقة ، وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما معناه : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها فصار الذين في أسفلها اذا استنقوا من الماء يمرون على من في أعلاها فيقولون : لو أنا نقرنا نقرنا في المكان الذي لنا فيه نصيب فلو أنهم تركوهم هلكوا جميعا ولو أنهم أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . هذا الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام يوضح الحرية ويحدد المسؤولية . فاذا أخفق الحكام يجب على الشعوب أن تقف وتحاسبهم ، واذا أخفق السياسيون يجب على الشعوب أن تقف وتردهم ، فاننا جميعا مسئولون ، واننا جميعا مسئولون أمام الله عز وجل عن أخلاقنا وعن مجتمعاتنا وكما يقول الله سبحانه وتعالى : **« والعصر . أن الانفسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والسلام عليكم ورحمة الله .



خواطرني القرآن

للأستاذ : علي الطنطاوي

تحت أيدي الناس اليوم أكثر من عشرين مليون كتاب ، بجميع اللسان والخطوط ، ولو سئلت : أي هذه الكتب أفضل وأكمل ، وأجمل وأشمل ، لقلت : القرآن .

وكل واحد من قراء هذه المجلة ، يجيب بمثل هذا الجواب ، لو سئل ذلك السؤال ، ما عندي في ذلك شك ، ولا عند أحد منهم في الجواب تردد . ولكنني فكرت ، هل أقول هذا لأنني مسلم آمن به ونشأ عليه ، وتعوده حتى صار عنده من البديهيات (١) ، أم هو حق في ذاته يقول به كل باحث منصف .. ؟

وذكرت كيف كان العربي يسمع الآيات من القرآن ، فتملك قلبه ، وتمسك لبه ، حتى تقوده إلى الإسلام كما فطنت بعمر ، أو تحمله على الإقرار بعظمته ، وغريب تأثيره ، ولو بقي على كفره كما صنع الوليد ، حين زعم أنه سحر ، وأصل السحر في لسان العرب ما بان أثره ، وخفيت علته . فأخرجت مصحفاً كان معي ، (وكنت لما خطرت لي هذه الخواطر في سفر بالطيارة) وجعلت أقرأ ، أحاول أن أجد مثل ذلك الشعور الذي وجدته عمر المسلم ، والوليد الكافر ، والذي كان يحس به كل عربي يقرأ القرآن ، أو يسمعه .

فماذا كان ؟ أقول لكم أم اكتم الأمر عنكم ، خجلاً منكم .. ؟

اني لم أجد ذلك الشعور ! حقيقة أقولها بأسف وخجل .

وفكرت مرة ثانية : لم لم أجده ؟

الآن أعرف القرآن وليس جديداً على ، فصار احساسى به ، كاحساسى

عندما أنظر الى الكعبة الآن ، بعد اقامة أحد عشر عاما فى مكة ؟
لقد فقدت تلك الهزة الرائعة التى شعرت بها لما رأيته لأول مرة ، وذهب
الإلف روعة المفاجأة أم لأنى تعودت أن أقرأ القرآن مسرعا ، أصل الآية
بالآية لأبلغ نهاية (الختمة) فلا أتذوقها ولا أتدبرها ولا ألمح اشاراتها
ومراميها .. ؟ نعم ، هذا هو السبب ، ان قرايتى القرآن مثل سفرى من
مكة الى جدة ، همى وهم السائق أن أصل فى خمسين دقيقة . لا أرى من
الطريق شيئا ، الا بيوتا متناثرة فى (بحرة) أو (حداء) . وفضاء يرحب أو
يضيق ، وجبالا تعلو أو تنخفض ، وتدنو أو تبعد .
ولو سئلت ما شكل هذه البيوت .. ؟ وماذا فيها من أناسى ومن فرش ؟
وما فى هذا الفضاء من تراب ورمل ؟ ما تركبه ؟ وما فى هذه الجبال من
صخور ؟ ما نوعها ؟ لما عرفت : لأنى لم أتنبه لها ، ولم أسأل عنها .
ولكن البعثة الجيولوجية (٢) التى تجيء للكشف والتحرى ، وتمضى على
الطريق خمسين يوما بدلا من خمسين دقيقة ، تعرف هذا كله ، وتقدم تقريرا
عنه .

هذا هو مثال تلاوتنا وتلاوة الصحابة . نحن نكمل الختمة فى يوم أو
يومين ولا نفهم شيئا ، ومن الصحابة من كان يمضى فى دراسة السورة الواحدة
سنتين ، ولكنه يتدبر ويعى ، ويعمل بما تدبره ووعاه .
فهذه السرعة ، وما يقابلها من انصراف الأذهان عند سماع القرآن ،
للصوت والألحان ، وظن كثير ممن يسمون بالقراء ، أن القرآن ليس الا كلاما
معدا للتلحين ككلمات الأغاني ، وتنافسهم على اجادة تلحينه والتصرف فى
أنغامه واتخاذنا القرآن مجرد شعار تفتتح به الخطبات ، هذا كله وأمثاله هو
الذى حجز بينى وبين التنبه الى أسرار القرآن ، وحرمنى من الشعور بروعته ،
وقد كان يشعر بها كل عربى يسمعه ولو كان كافرا .
ما تبدل القرآن ، بل تبدلت الألسنة التى تقرا ، والآذان التى تسمع ،
والقلوب التى تعى .

اننا نقرأ القرآن بلا فهم ، أو نظرب له بلا خشوع ، أو نتخذة وسيلة لـ
(الشجادة) على أبواب المساجد فلا يحق لنا (لا لى ولا لفيرى) ان يتخذ من
الشعور الذى يشمر به ميزانا لتقويم (٣) القرآن ، فلندع الشعور الى
العقل .

ولنتصور لو ان رجلا مثلى يقرأ (كما أقرأ) ما معدله أكثر من مئة صفحة
فى اليوم ، من أكثر من خمسين سنة . حتى اطلع على جانب كبير من المعارف
البشرية ، وكان منصفاً ولو كان غير مسلم ، وسئل السؤال الذى استهللت
به المقال ، فبماذا يجيب . ؟

انه ينظر فيرى أن البشرية شهدت كتباً عالمية ، كان لها الأثر البالغ فى
الناس . أو فى جمهور كبير من الناس .

منها ما نزل من السماء فحرفه البشر ، كالكتاب الذى يدعى اليوم بـ
(الكتاب المقدس) ومنها ما هو أرضى قدسه اتباعه ، كالفيدا (Vedas)
الهندية ، والأفستا (Avesta) الفارسية المنسوبة الى زراداشت ،
ومكتوبات كونفوشيوس (وأصل اسمه بالصينية : كونغ فوتس) .

ومنها كتب أدبية كاليانزا هومبروس ، ومسرحيات شكسبير وموليير
ولافونتين وخطب فيخته (Fichte) الألماني .
ومنها كتب فلسفية أو علمية كجمهورية افلاطون ومحاورات سقراط
وكتب أرسطو وخطبة المنهج لديكارت ونقد العقل لكانت ، والتطور المبدع
لهنري بركسون ، والإنسان ذلك المجهول لكاريل ، ونسبية آينشتاين .
وما كتب دارون ، وفروود ، ودوركاييم ، ومكيافيلي ، ثم هيكلم وماركس
وغيرها من أمثالها ، فأنا إنما أجمل وأمثل ، لا أستقصي وأفصل — ولم أذكر
كتب المسلمين لسببين :

الأول : أني أحاول أن أفكر بعقل باحث منصف غير مسلم وغير متمسب
لدين أو مذهب يمنعه من الانصاف .

والثاني : أن كتب المسلمين كلها ، متأثرة (من قريب أو بعيد) بالقرآن ،
فهى كالفرع عنه وأنا أتكم هنا عن القرآن ، فكيف احتج بالفرع للأصل ، وأقبل
شهادة الولد للوالد ؟

أقول : لو جاء هذا الباحث النزيه يوازن بين هذه الكتب وبين القرآن
فماذا يجد . . . ؟

يجد أن المثل العليا للبشرية ، والغايات القصوى للمعارف وللمشاعر
الإنسانية ، هى الحق والخير والجمال .

وهذه الكتب منها ما يبحث عن الحق ، بواسطة الفكر ، ولكنه لا يسعى
بالجمال ولا ينتش عن الخير ، ومنها ما ينتش عن الجمال من طريق الذوق ،
بواسطة العاطفة ، ولكنه لا يهتم بالخير ولا بالحق .

أى أن منها كتب فى العلم وحده وكتبها فى الأدب فقط وكتبها فى الأخلاق
وفلسفتها ويجد أن منها ما هو مخالف لفطرة البشر ، وطبيعة تكوينهم ، والفطرة
تأبى ما يخالفها ، كالكتاب الذى يقبح الفن لأهله ، ويقول (لا يدخل الفن
ملكوت السموات) والإنسان مظهر على حب المال . ويزين لهم التبتسل
والرهبانية ، والإنسان مفروز فيه (غريزة) الميل الى الزواج . ويقول : (من
ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) والإنسان مجبول على دفع الأذى
والرغبة فى الانتقام .

والكتاب الذى يحاول أن يحو الفرد ليثبت بزعمه المجموع ، ويحرره
الريح ، ويكلفه الجد فى العمل . ويريد أن يطمس عقله فلا يفكر به ، بل
بعقل طبقته . ويجعل الناس طبقات يجمعها الحرب والخصام لا الصلح
والوئام . ويقول : بخرافة (حتمية التاريخ) مع أن التاريخ ليس إلا الرواية
والتعطيل لما كان ، لا التحكم فيما سيكون — كما يهذى به الماركسيون .

ويجد كتب الفكر والعلم — تبلى على الأيام جدتها — وتنقص قيمتها ، فلا
يبقى لها إلا مزية السبق الزمنى حتى أن طالب الجامعة يعرف اليوم من الطب
أكثر مما كان يعرف بقراط (أبقراط) ، ومن الهندسة أكثر من أقليدس ،
ومن الفلك أكثر من كوبرنيك ، ومن الكيمياء أكثر من لاموازيه .

وكتب الأدب يتبدل نظر الناس إليها ، وتقديرهم إياها ، بتبدل الأذواق ،
وتباين العصور ، وأن كانت أثبت (فى الجملة) وأبقى من كتب العلم .

وكتب الأخلاق ، تختلف أسسها ، وتتعدد نظرياتها .

ويجد أن منها ما يظهر خطؤه فتخبو ناره ، وتنطفئ أنواره ، كآراء
فروود ، ونظرية دارون ، ومنها ما ينكشف لأتباعه ، (عند التطبيق) ما فيه
من ضرر بالغ ، وفتائج مدمرة ، فضلا عن تعذر تطبيقه كاملا ، ككتاب (رأس

المال) و (الميثاق) لما ركبي .

فماذا تركها ونظر الى القرآن ، فماذا يجد ؟

يجد القرآن (أولا) قد احاط وحده بالمثل العليا كلها : الحق والخير والجمال ، فكان كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات ، ولا يسرد قوانين ، بل يوجه الناس الى اعمال عقولهم في فهم اسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم ان لهذه الحياة سنا محكمة ، وقوانين ثابتة ، ويشير (بمقدار ما يفهم المجتهد الذي سمع القرآن أول مرة) الى بعض هذه القوانين والسمات ، ويدعوهم الى اكتشافها في أنفسهم : فهي اجسادهم وعواطفهم ، وفي الحيوانات من حولهم : الابل والاشجار ، وفي النباتات كيف تتجرد وتكسي وتغيرت في الشتاء ثم تحيا ، وفي الارض وما فيها ، والسموات وما يرى منها ، ويخبرهم ان كل شيء في الكون محدد المقادير ، قائم على نسب مضبوطة ، وعلاقات ثابتة . وان الذي اوتوه من العلم بها قليل وأنه سيخلق ما لا يبالغون ، وسيطلي من يأتي من البشر من المعرفة بالكون ما لا يعرفون .

والقرآن يشير دائما الى قوانين الطبيعة التي طبعها الله ، وينبهه اتباعه الى استثمار كل ما فيها ، اني انه سخره لنا لنتفح به ، اذا عملنا عقولنا وأفكارنا ، (وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعا منه) وليس هذا التسخير لمجرد الانتفاع بها في هذه الحياة المؤقتة بل لتكون علامات وآيات نستدل بها على طريق الانتفاع الحقيقي ، في الحياة الأخرى الدائمة : (لان في تلك الآيات لقوم يفكرون) .

فمن اهل عقله من المسلمين قصر ، ولم يدرك هذه الآيات ، ومن انتفع بها ونسي خالقها ووجدتها ، كان جاهدا للمزور . استغنى عن الهدية وتفكر حق مهيدها ؟ هذا ما فعله اتباع هذه الوثنية الجديدة . وثنية العلم ، الذين يكثفون بعقولهم التي هي عطية الله ، القوانين الطبيعية التي وضعها الله ، ثم لا يشكرون الله ، بل ربما أنكره وجحدته . . . !!

ومن انتفع منها النفع الذي وضعه الله فيها ، وشكره عليها ، كان مؤمنا عاقلا ، ومن عظمها لذاتها ، وترك النفع الذي وضع فيها ، كان احمق جاهلا ، كمن يحفظ الثوب ، ينظفه ويمسحه ولا يلبيه لدفع برد ولا حر ، ولا لستر ولا اتجمل ، ومن يجمع المال ويحده ويحبسه ، ولا ينفق منه على نفسه ولا على اهله ، ولا يشتري به دنيا ولا يشتري به أخرى ، لذلك ورد (تصس عبد الدينار تصس عبد الخميصة) أي الثوب .

هو كتاب عقائد ولكنها ليست فصولا متسلسلة تشغل القلب بالعقيدة ،

وتصرفه عن اعمال الحقل ، وتذوق الجمال ، بل هي آيات تقرر الحقيقة من خلال التفكير في المخلوق وتأمل جماله للاستدلال به على خالقه .

وهو كتاب تشريع ولكنه ليس كمجموعة جوستينيان مثلا نصوصا واحكاما تبين الحكم فقط بل هو يصلها بالعقيدة ، ويربطها بالخالق ، حتى عندما يحدد حصص الورثة في التركة ، أو اسلوب التوثيق عند الكاتب العدل .

وهو كتاب تاريخ ولكنه لا يجمع اطراف القصة من قصص الانبياء ويسردها سردا متصل الحلقات بل يأخذ منها في كل موطن جانب يعرضه ، للاعتبار به ، فهو يحرص على الاستفادة من الخبر ، لا على الإطاحة بالخبر . ولعل حكمة هذا المزج بين القصص والعبارة ، وتكرير القصة على صور مختلفة ، وفي مواضع متعددة ، هي (والله اعلم) ان مستقر العقيدة هو

العقل الباطن (٤) . وهذا الأسلوب في التلقين والإيحاء ، غير المباشر ، يوصل إليه رأسا لا سيما إذا اقترن بالتكرار ، وقد تنبه لهذا المربون من الأجانب وأطالوا البحث فيه ، واستعملوه في تلقين المبادئ التي يريدون الشباب عليها .

ولو كانت القصة معروضة عرضا مدرسيا ، يخاطب العقل الواعي ، لحفظتها (الذاكرة) لنقدمها الى العقل عند الطلب فيعمل فيها ، مناقشة وبحثا وتشكيكا ، ثم ننسأها على مر الأيام ، كما ينسى التلميذ إذا كبر دروس المدرسة التي وعأها وامتحان فيها ، ولكنه لا ينسى توجيهات المدرس ، التي تجيء عفوا ، واني لأذكر الآن والله من هذه التوجيهات المارضة ، أشياء سمعتها في المدرسة خلال أيام الحرب العالمية الأولى .

وقد ظن قوم ضلوا وزلوا ، أن قصص الأنبياء في القرآن ، كتصميم الأدباء من أمثال إسكندر دوماس وشارلز دكنز . يراد بها العبرة ولا يحرق فيها على الحق (o) وهذا كلام باطل وجميع تلکم الكتب (الا ما كان سبأويا وبقي كما نزل) ، مهما سما فيها الفكر ، ومهما رقت فيها العاطفة ، كتب ارضية منبثقة من حياة الانسان على هذه الأرض ، محدود ما فيها بحدود هذه الحياة لا تعرف ما قبلها ، ولا ما بعدها ، لا تعرض له ولا تشير إليه ، الا بأصابع الخيال الذي لا تدعیه حقيقة ، أو التوهم الذي لا يسنده دليل ، والقرآن يشمل موضوعه ما قبل هذه الدنيا ، وما بعدها ، ويخبرنا معشر البشر (ولم نكن لنعلم لولا أن علمنا) : من أين جئنا ، ما أصلنا والى أين نمضي ، وما مصيرنا .

فان نظرنا الى الموضوع ، وجدنا القرآن وحده من بين تلك الكتب جميعا هو الذي يحوى الدستور الكامل ، للحياة الفردية والصاعية ، الجسدية والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية ، والحكومية ، حياته هذه القصيرة على الأرض ، وحياته المقبلة في الآخرة .

بل إن من عجائب القرآن ، أن هذا الدستور قد أجمل في أربع عشرة كلمة فقط . نعم أربع عشرة كلمة هي : والعصر ، أن الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

يبدأ بالتذكير بحقيقة نعرفها ونوقن بها ، ولكننا قد ننسأها ، هي أن رأس المال للانسان ، عمره ، فكلما مر عليه يوم خسر منه يوما ، حتى تجيء ساعة الموت فيكون الخسر الكامل ، لهذا أقسم بالمصر (أي الزمان) لا تعطيا له كما يقسم البشر ، بل للتنبيه اليه .

نخسر بالموت لأننا نترك كل شيء ونمضي . ولكن منا من لا يشملله هذا الخسر . هو الذي يحمل معه من خيرات هذه الدنيا ما ينتفع به في الآخرة ، أولئك هم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ثم يضع لنا المنهج العام للمبدأ والتطبيق ، للفرد في نفسه وللجماعة فيما بينها ، فالمبادئ منها ما هو حق وما هو باطل ، فالؤمن يتمسك به (الحق) . والمتمسكون بالمبدأ الحق منهم من لا يبر على مشاق التطبيق ، فالؤمن يحرق على (الصبر) عليها ، حتى يطبق : أيقا كاملا .

ثم لا يكتفى كل واحد بنفسه ، بل يتعاونون عليها و (يتواصون بها) (٦) فيصالح الأفراد ويصلح بهم المجتمع .

هذا من حيث مجموعه ، ومن حيث موضوعه .
أما أسلوبه فأسلوب مفرد ، ليس في كل ما عرف البشر من كتب كتاب آخر لا يمثل هذا الأسلوب الذي جاء جديدا ، وبقي جديدا ، لأنه لم يقلد ولم

يحتذ ، ولم ينسج أحد على نوله ، والقرآن يدور كله على وصل الانسان الثاني بالله الباقي ، بتوحيده وتذكره ، وتجنب اشراك غيره في الالهية معه ، أو توجيه العبادة الى سواه وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة (الآخرة) الباقية بالايان بها ، والاستعداد لها ، والعمل على ما ينفع فيها . ولكنه لا يفصل بين الدين والدنيا ، كما يفعل أتباع الديانات الأخرى (٧) اذ يجطلون من الناس (رجال دين) يسلكون طريق الدين ، ورجال دنيا أي رجال علم وسياسة ومال ، فكل مسلم بنظر القرآن رجل دين ما دام متمسكا به ، قائما بواجباته ومبتعدا عن محرماته ، ورجل دنيا ما دام يتنفي فيها (من الحلال وحده) ، العز والقوة والمال ، ويقوم فيها بجلائل الأعمال . وإذا كان طريق الدنيا وطريق الآخرة عندهم ، كطريق قطر وطريق المراق للسكان في الكويت مثلا ، فمثالهما في القرآن كطريق العراق وطريق اسطنبول (٨) ، لا يختلفان بالاتجاه بل بالامتداد ، فطالب الدنيا يقف عندها ، ولا يجاوزها ، وطالب الآخرة يتخذ الدنيا محطة في طريقه اليها يتزود منها لها . هذه مقاصد القرآن ، ولكنه خلال ذلك ، يلم بكل ما يحتاج اليه الانسان من أدوات توصله ، الى الكمال (الممكن) في الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم ، يمزجها مزجا مفردا ، بأسلوب هو الغاية في الجمال فتصل به الى منطقة اللاشعور (Inconscience) أي العقل الباطن ، حتى اذا استقرت فيها ، تظهر أثرها في فكر الانسان وعاطفته وسلوكه ، ومجموع أعماله ، لذلك (وبذلك) بدل الاسلام العرب ، حتى ولدوا به في التاريخ ولادة أخرى ، وخذوا مثالا على ذلك عمر ، وتصوروا ماذا بلغ لما أسلم ، وماذا كان لو لم يسلم (٩) .

ما قرط القرآن في شيء ، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب في دفتر التلميذ ، وأعراب أبيات الاختبار في كتاب القواعد ، وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا ، القرآن لا يقدم اليك صندوق التفاح ، بل يعطيك الأرض والخبرة التي تملك بها شجرة التفاح ، لا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك الى استعماله في معرفة قوانين الفيزياء ، والفرنسيون يقولون في أمثالهم : « من أهديت اليه سمكة اشبعته يوما ، ومن تعلمه صيد السمك تشبعه كل يوم » .

القرآن يدعو للتدبر والتفكر وأعمال العقل ، في فهم آيات القرآن ، وفي معرفة أسرار الأكوان ، خبرنا بأنه وضع لكل شيء قانونا ، وأعطانا ابصارا وعقولا ، وقال لنا « انظروا ماذا في السموات والأرض » . أنزل لكل داء دواء وقال ، ابحثوا عن الدواء للداء ، اكتشفوا سنن الله وقوانينه في هذه الدنيا ، واعرفوا (الطبيعة) التي طبعها عليها .

علم المسلم قبول التحدي والمناظرة العقلية والخضوع للبرهان القاطع ، وإن تكلف الخصوم إبراز دليلهم أن كان لهم دليل (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) لأن الدعوى بلا برهان حقها الرفض .

وإن نقول الحق ولو على أنفسنا ، أي أن نخضع رغباتنا وشهواتنا ، والامنا ولذاتنا لحكم الحق .

والقرآن يعلل أحكامه وأوامره ، في العقائد الأساسية التي هي من البديهيات (١٠) (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا) وفي الشرائع (ذلك أدنى ألا تعولوا) .

ويشير الى القوانين الاجتماعية ، أشارته الى القوانين الطبيعية ، والى أنها من سنن الله الثابتة (قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا

كيف كان عاقبة المكذبين) .

هذا قانون الهى اجتماعى : الذين يكذبون الحق ، ويرفضونه ، ويسلكون غير سبيله تكون عاقبتهم الهلاك (وإذا نولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وهذا أيضا قانون .
ويمنع الاعتقاد بالخرافات ، أى النتائج المتوهمة ، لخدمات غير مسلمة ، أى ما ينافى التفكير العلمى من الاعتماد على المصادفات ، كالاستقسام بالأزلام ، والأوهام كالبخيرة والسائبة ، وتصديق الدجالين من المشعوذين ، واتخاذ أسباب لا تؤدي بطبيعتها الى المسببات ، كالحجب والتمايم ، فهو بذلك يحزر الانسان من عبودية الخرافات .

ويجعل المؤمن لا يصدق الا باحد اثنين : بما ثبت لديه ثبوتا عقليا مستندا الى الحس الصحيح ، أو التجربة المضطردة . وبما جاء به الخبر اليقضى .
فهو دستور ، ودستور الدولة فى المادة يحدد الحدود العامة ، ويبين الأهداف الكبرى ولكن لا يدخل فى التفاصيل الا فى حالات خاصة لها ما يدعو الى ادخالها فى الدستور ، فالدستور ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هى العربية مثلا ، وعلى وجوب الاعتراف بها ، لكن لا يشرح عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة . وعلى أن القضاء مستقل ، ولكن لا يحدد مدد التظليخ وطريقة التنفيذ وكذلك القرآن قال لنا (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وترك لنا اختيار الطرق والأساليب للوصول الى تحقيق العدل .
للبحث بتيمة

(١) القياس الصرفى : بدهى ، ولكن كلمة بديهي وطبيعي مستعملة من اكثر من ألف سنة ، ومقتلها الألسنة والأقلام .

(٢) جى : أرض ، ولوجى : علم باليونانية القديمة والواو للتركيب كما يقولون مثلا (فرانكو آراب) .

(٣) تقويم بالواو — أما تقييم فلا صحة لها ، وإذا ظنوا أنها من (القيمة) فان قيمة أصلها (قومة) .

(٤) راجع كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

(٥) منهم خلف الله فى أطروحته التى طلب بها شهادة الدكتورية ، وكنت تلك السنة (١٩٤٧) مقبلا فى مصر مؤمدا من وزارة العدل فى الشام الى إدارة التشريع فى مصر ، وكنت أشرف على مجلة الرسالة لبرضى صاحبها الأستاذ الزيات رحمه الله ، فأثرتها عليه حربا تطاير شررها وانتشر خبرها ، ووصلت الى القضاء فى دعوى أقامها على الشيخ أمين الخولى — وكانت النتيجة أن رفضت الأطروحة تلك السنة — ومن رجع الى مجلة الرسالة لسنة ١٩٤٧ وجد تفصيل الخبر .

(٦) لى تفسير : فصل لهذه السورة هذه خلاصته . أذعته فى رمضان من عام ١٩٦٠ من إذاعة دمشق .

(٧) ودين الحق واحد (أن الدين عند الله الاسلام) .

(٨) أصلها اسلامبول (أى بلد الاسلام) سماها بذلك السلطان محمد الفاتح رحمه الله .

(٩) لى كتاب كبير عن عمر جمعت فيه أخباره كلها مع ذكر مصادر بالجزء والصفحة طبع سنة ١٩٣٥ ثم عدلته وسحبته أخبار ر عمر طبع سنة ١٩٥٩ ولا يزال يطبع .

(١٠) انظر كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

(٤)

الدكتور محمد عبد الرؤوف

مرحلة تدوين المصنف

كانت المرحلة الاولى من مراحل تدوين الحديث التي سميها (مرحلة الصحيفة) تمثل البداية الطبيعية لحركات النمو والتطور ، فكانت بسيطة القدر والهدف ، أما بساطة القدر فلأن عدد احاديثها لم يتجاوز غالبا بضع العشرات ، وأما بساطة الهدف فلأن الصحيفة كانت ترمى الى نقل ما فى المصدر الى المسطور دون اتباع منهج فى ترتيب احاديثها للتيسير على الدارسين الذين كانوا بحاجة الى الحديث لاستنباط المبادئ العقيدية والأحكام الشرعية اذا عز عليهم الأمر فى الكتاب الكريم .

لذلك اتجه المدونون للحديث فى المرحلة التالية ، وهى التى نحن الآن بصدددها ، الى منهج التصنيف والتبويب ، وقد بدأت هذه المرحلة فى المقدم الثالث من القرن الهجرى الثانى ، أى ما بين سنة ١٢٠ و ١٣٠ هـ (١) ، أى فى

الوقت الذي كانت تحتضر فيه الدولة الاموية وتتحفز فيه للوثوب الدولة العباسية .

ويقصد (بالتصنيف) تنويع الاحاديث على حسب موضوعاتها ووضع كل نوع أو صنف منها في فصل من الكتاب تحت عنوان يدل على موضوعها ، وأطلقوا على كل فصل من الكتاب المدون بهذه الطريقة اسم (كتاب) مثل كتاب الايمان وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الحج وكتاب البيوع وكتاب المناكحات وهكذا ، ولقد قسموا كل فصل من هذه الفصول أو الكتب الى (أبواب) وجعلوا أيضا لكل باب عنوانا يدل على موضوع احاديثه ، وذلك كتصنيفهم كتاب الطهارة مثلا الى باب المياه وباب الوضوء وباب الغسل وباب المسح وباب التيمم وباب الحيض ، وقد أطلقوا على هذا التنظيم : (التويب الفقهي) ، وذلك لأن العناوين والموضوعات الفقهية كانت تفلب عليها .

ويتميز هذا النوع من تدوين الحديث في هذه المرحلة بثلاث مميزات : اولها (الترتيب المنهجي) على الوجه الذي شرحناه من الاتيان بالاحاديث المشتركة في موضوع واحد معاً في فصل واحد تحت عنوان يدل على موضوعها العام ، ثم تقسيم كل فصل الى وحدات أصغر يسمى كل منها (باباً) تحت عنوان دال على موضوع الباب أيضا ، لذلك يوصف الكتاب الحديثي المدون على هذا المنهج بكونه (مصنفاً) ، وحيث أن (المصنف) يهدف الى التيسير على الدارس الباحث الذي يسعى لاستنباط الاحكام ونحوها فان المؤلف لهذا النوع يروى مع الاحاديث في كل فصل أو باب ما قد يتيسر له من أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم المتعلقة بالموضوع ، وأخيراً يتميز (المصنف) بفزارة المادة وكثرة ما يروى به من احاديث وآثار حيث ارتفع الحرج من تقييد العلم واشتدت الرغبة في تسجيل ما وعته الصدور وتناقلته الالسننة قبل أن يضيع بذهاب حفظته ، وساعد على ذلك انتشار فن الكتابة وتيسير أدواتها .

وقد سمي المؤلفون لدوناتهم الحديثية على هذا المنهج لفظ (السنن) لاشتغال الكتاب عليها ، أو (المصنف) لتصنيف ما به وتبويبه ، أو (الجامع) أو (المجموع) لكبره وشموله ، أو (الموطأ) لأن ما به وطىء ومهد ويسر للطالبيين .

ويقال أن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، المكنى أبا خالد ، المعروف غالباً باسم (ابن جريج) المتوفى عام ١٥٠ هـ في بغداد ، كان أول من دون مصنفاً حديثياً على هذا المنهج ، وقد سباه (كتاب السنن) ، كما كان من المبكرين أيضاً في هذا النوع من الجمع والتصنيف (مسمر بن راشد) المتوفى سنة ١٥٣ هـ (٢١) والذي سبق أن التقينا به في حديثنا عن اسناد صحيفة همام ابن منبه ، وقد أطلق على كتابه اسم (الجامع) .

وسوف نشرع الآن مستعينين بعونه تعالى في وصف ثلاثة نماذج لهذه التأليف التصنيفية ، اولها كتاب (المجموع) المنسوب للإمام زيد بن علي زين العابدين الذي استشهد عام ١٢٢ هـ ، والذي رواه عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي المتوفى حوالي سنة ١٥٥ هـ ، وهو أخصر الثلاثة ، ثانيها كتاب (الموطأ) للإمام دار الهجرة مالك بن أنس المتوفى عام ١٧٩ هـ ، وهو أشهرها ، وثالثها كتاب (المصنف) للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ هـ ، وهو أطولها ، وسوف نتبع ان شاء الله تعالى وصف كل منها باختيارات من الكتاب مزيداً في الفائدة .

(١) المجموع الزيدى

نشأ الامام زيد الذى يروى عنه هذا المجموع فى بيت النبوة والعلم تحت رعاية أبيه الامام على زين العابدين الذى شهد صبيا مصرع أبيه الامام الحسين وكان الموت منه قاب قوسين ولكنه نجا منه بأعجوبة فبقى سائر حياته بالمدينة عاكفا على العلم والعبادة ومساعدة المساكين وذوى الحاجة ، وكان مهابا موقرا محببا الى القلوب ، وليس أدل على مكانته فى نفوس المسلمين رغم تواضعه وحسن أدبه مما حدث يوم أقبل هشام بن عبد الملك للطواف بالبيت أيام الحج ومعه حرسه وحشمه حيث كان ولي عهد الخليفة الاموى ، فقد عجز هشام بسبب الزحام ورغم الجهد عن الوصول الى الكعبة المشرفة واستلام الحجر ، فنصب له منبر فجلس عليه واستلم على بعد وحواله حاشيته ، وبينما هو كذلك رأى الجموع المحتشدة تتنحى اختيارا وتفسح الطريق لقادم بدا فى شكل مليح ودنا من الحجر واستلم فى هيبة ووقار ، فأوغر ذلك صدر هشام لأنه عرف أن القادم الوقور على ابن الشهيد الحسين ، ولكنه قال استنكارا وغيظة : « من هذا ؟ » ، وتصادف أن سمعه الفرزدق الشاعر المشهور نبادر وأنشد قصيدته البديعة التى مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عبادة الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رآته قريش قال قائلها :	الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت	عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

هذا هو أبو صاحبنا زيد ، وفى بيته — بيت العلم والايمان — ولد زيد عام ٧٦ هـ ، وعلى يده نشأ زيد وترعرع ، وقد تعلم وحفظ وعنه روى وحكى ، حتى اذا توفى الأب ولم يكن زيد قد بلغ العشرين بعد ، واصل الدرس والتحصيل مع اخيه الاكبر الامام محمد الباقر الذى يقال عنه انه بقر العلم ، ومع ابن اخيه الامام الصادق الذى سارت بذكره الركبان ! فى هذا الجو المبارك شب زيد ونضج على التقوى وحفظ وارتوى من فيض العلم والعرفان حتى أصبح حجة ومنازا ومثلا فى الفصاحة والبيان ، وبحرا فى الحديث وعلميا فى معرفة وجوه تلاوة القرآن ، وحسبك شهادة الباقر له حيث أجاب من سألته عنه بقوله : « سألتنى عن رجل ملئ ايمانا وعلمنا من أطراف شعره الى قدميه ! » .

والحديث عن الامام زيد وشجاعته وأدبه وشعره وجهاده ممتع وطويل ، وقد يبعدنا عن الموضوع الذى نحن بصدده ، وقد حفزته شجاعته وايمانه واستنكاره لبني أمية على قبول البيعة له بالكوفة فى عهد خلافة هشام ابن عبد الملك ، ولكنه خر صريعا فى معاركة ضد جنود الامويين عام ١٢٢ هـ ، وهو لا يزال فى مقتبل العمر ، فمثل ببذنه تمثيلا وحشيا نمسك القلم عن وصفه ، وقد زاد ذلك من كراهية الناس لبني أمية وضاعف عطفهم على بني على ، وقد نما مذهب زيد وأطلق عليه مذهب الزيدية ، وهو مذهب شيعى

معتدل ، ويكثر اتباعه في جنوب شبه الجزيرة . وكان لطلماة الزيدية يد طولى
في اثناء المكتبة العربية الاسلامية .

وكان اعظم تلاميذ زيد ومريديه واكثرهم به صلة واطولهم له صحبة
عمرو بن خالد الواسطى المكنى بأبى خالد ، وقد روى ابو خالد هذا مجموعين
عن الامام زيد ، أحدهما مجموع حديثى والآخر مجموع فقهى . فضم أحدهما
الى الآخر فى كتاب واحد هو (المجموع) ، وكما يقول العلامة المحقق الشيخ
محمد ابو زهرة : تحمل ابو خالد هذا المجموع عن زيد « بطريق الرواية
الشفوية أحيانا وبالأملأ أحيانا » (٣) ويقول : « رواء ابو خالد الواسطى فيه
الفقه وفيه الحديث ، فهو يشتمل على المجموعين الفقهى والحديثى » (٤) وذلك
لأن أبا خالد تلقى عن الامام مجموعين ، المجموع الفقهى والمجموع الحديثى
فرواهما ابو خالد معا كمجموع واحد مرتب ومبوب ، ويقرر الشيخ ابو زهرة
أن هذا الترتيب كان من عمل الواسطى ولكن « يحتمل أن يكون التبويب قد جرى
فيه بعض التفسير ، ولكننا لا نفرضه فرضا . . ولم يجرى فى كتب الزيديين
ما يدل على هذا التفسير فى التبويب ، ولذلك لا ندعى وقوعه ولا نفرضه وأنه
لا تضعف الثقة فى الكتاب اذا حدث » (٥) .

وعلى هذا فالمجموع الذى بأيدينا يشمل ما تحمله ابو خالد عن الامام
زيد من أحاديث وما تعلمه عنه من فقه وأحكام ، ولكنه خلط الفقه والحديث ،
فنرى الباب الواحد مشتملا على الحديث والفقه ، وهذا هو شأن المدونات
(المصنفة) كما شرحنا من قبل واليك المثال التالى . وهو أول (باب ذكر
الوضوء) من كتاب الطهارة الذى هو أول فصول المجموع :

قال ابو خالد الواسطى :

حدثنى زيد بن على

عن أبيه على بن الحسين

عن جده الحسين بن على

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السلام ، قال :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ففصل وجهه وذراعيه
ثلاثا ثلاثا ، وتمضمض واستنشق ثلاثا ثلاثا ، ومسح رأسه وأذنيه مرة ،
وغسل قدميه ثلاثا » .

قال ابو خالد رحمه الله :

« سألت زيد بن على عليه السلام عن الرجل ينسى مسح رأسه حتى

يجف وضوءه ، قال عليه السلام : (يعيد مسح رأسه ويجزئه ولا يعيد
وضوءه) » .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« الاستنجاء سنة مؤكدة ، ولا يجوز تركها الا أن لا يجد الماء » .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« المضمضة والاستنشاق سنة ، وليس مثل الاستنجاء » .

ثم يسوق ابو خالد فى هذا الباب أثرا عن أبيه فيقول :

« حدثنى زيد بن على قال : « كان يقول أبى على بن الحسين بن على عليهم

السلام : اذا ظهر البول على الحشفة فاغسله » .

وتحت عنوان (باب المسح على الخفين) يسوق ما يلى :

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام :

« أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح قبل نزول المائدة ،

فلما نزلت آية المائدة لم يمسخ بعدها » .

حدثني زيد عن أبيه عن جده الحسين عليهما السلام قال :
« أنا ولد فاطمة لا يمسخ على الخفين ولا عمامة ولا كمة ولا خمار ولا جهاز » .

وسألت زيدا عليه السلام عن المسافر يخاف على نفسه من الثلج ، هل يجوز له أن يمسخ على خفيه ؟ قال :
« نعم ، هذا عذر مثل المسح على الجبائر » فان استطاع الفصل لم يجزه المسح » .

ومما تجدر الإشارة اليه أن الأحاديث كلها الواردة في (المجموع) مروية بسند واحد : زيد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فكل رواته — كما نرى — من أهل البيت ، ولا تأخذ الشيعة إلا عنهم . ولكن مع أن الراوى للمجموع عن زيد — أعني أبا خالد الواسطي — ليس من أهل البيت ، فإن آل بيت زيد أنفسهم قد تلقوا المجموع بالقبول ، كما تلقاه بالقبول سائر جماعة الزيدية .

ويحتوى المجموع على أربعة عشر (كتابا) ، هي كتاب الطهارة فكتاب الصلاة فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب الحج فكتاب البيوع فكتاب الشركة فكتاب الشهادات فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب الحدود فكتاب السير فكتاب الفرائض ، وقسم كل كتاب منها إلى أبواب ، فكتاب الشركة مثلا يشتمل على باب الاجارة وباب الرهن وباب العارية والوديعة وباب الهبة والصدقة وباب اللقطة واللقطة وباب جعل الأبق ، وباب الفصب والضمان ، وباب الحوالة والكفالة والضمان وباب الوكالة ، وقد طبع المجموع أخيرا باسم (مسند الامام زيد) ، ولا تعنى كلمة (المسند) هنا المعنى الاصطلاحي الذي سنشرحه ان شاء الله عند الكلام على المرحلة القادمة من مراحل تدوين الحديث ، ولعل المقصود لفظا (ما أسند) أى ما نسب إلى الامام زيد أو عن طريقه ، أما تسميته بالمجموع فلما جمع به من أحاديث وأقوال وفتاوى .

ويشتمل المجموع على ٢٢٨ حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ٣٢٠ خيرا موقوفا على الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وخبرين مرفوعين إلى الامام الحسين عليه السلام ، ويبدأ أبو خالد سند هذه الأحاديث والخبار بقوله : (حدثني زيد) ، أما ما يرويه عن زيد نفسه فيبدؤه بقوله : (قال زيد) ، وقد يقول : « سألت زيدا عن كذا » ويأتى بالجواب .

ونأتى هنا — كما وعدنا — بمختارات من (المجموع) لمزيد الفائدة :
حدثني زيد عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « دخلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها فإذا نسوة في جانب البيت يصلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، أى صلاة يصلين ؟ قالت : يارسول الله ، المكتوبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أمتهن ؟ قالت : يا رسول الله : أويصلح ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، تقومين وسطهن ، لا هن أمهك ولا خلفك ، ولكن عن يمينك وعن شمالك » .

حدثني زيد عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال : أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : « إذا طهرت الحائض قبل المغرب قضت الظهر والعصر ، وإذا طهرت

قبل الفجر قضت المغرب والعشاء » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا مرضاكم ، واشهدوا جنائزكم ، وزوروا قبور موتاكم ، فان ذلك يذكركم الآخرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يرفع العلم بقبض يقبضه ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم فيبقى الناس جباري في الارض ، فعند ذلك لا يعبأ الله بهم شيئا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع حلال ، وربع حرام ، وربع مواعظ وأمثال ، وربع قصص وأخبار » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « من قرأ القرآن وحفظه فظن أن أحدا أوتي مثل ما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله تعالى » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ، ويبغض البذي الفاحش الملح الملحف ، الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا ، بسم الله الرحمن الرحيم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « من قرأ فاتحة الكتاب فقال : الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه صرف الله عنه سبعين نوعا من البلاء أهونها الهم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل رجل من الانصار عدناه فإذا هو يضرب غلاما له والفلام يقول : (اعوذ بالله ، اعوذ بالله !) كل ذلك لا يكف عنه سيده ، قال : فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اعوذ برسول الله) فكف عنه الرجل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تعلم أن عائذ الله أحق أن يجار ؟) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرقاكم أرقاكم ! فأنهم لم ينجروا من شجرة ، ولم ينحتوا من جبل ، أطمعهم مما تاكلون ، واسقوهم مما تشربون ، واكسوهم مما تكسون » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتبادلوا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أفضلكم أيما أنا أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الواصلون لأرحامهم ، الباذلون لمعروفهم ، الكافون لأذاهم ، العافون عن قدرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « للمسلم على أخيه ست خصال : يعرف اسمه واسم أبيه ومنزله ، ويسأل عنه اذا غاب ، ويعوده اذا مرض ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « اذا

دخلت السوق فقل : « بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة ومن شر ما احاطت به او جاءت به السوق » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه عند منامه اتكأ على جانبه الايمن ثم وضع يمينه تحت خذه مستقبل القبلة ثم قال : « باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه ، اللهم ان امسكت نفسي فارحمها وان اخرتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله ، تبعثني وأنا شاب لا علم لي بالقضاء ؟ قال : مضرب يده في صدره ودعا لي ، فقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ولفته الصواب وثبته بالقول الثابت » ثم قال : يا علي ، اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تسمع ما يقول الآخر ، يا علي لا تقض بين اثنين وانت غضبان ، ولا تقبل هدية مخاصم ، ولا تضفه دون خصمه ، فان الله عز وجل سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، قال : نقاتل عليه السلام : فوالذي غلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بعد ! »

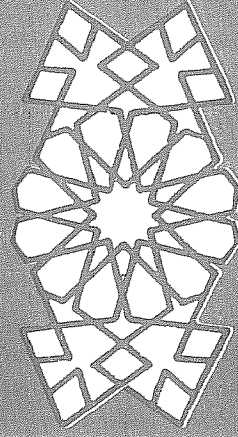
حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام : « في الرجل يطلق امرأته فيختلفان في متاع البيت فقضى عليه السلام في ذلك أن ما كان يكون للرجال نهر للرجال وما كان يكون للنساء فهو للنساء ، وما كان يكون للنساء والرجال فهو بينهما نصيبان ! » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر السيد الى زوجته ونظرت اليه نظر الله أيهما نظر راحة ، فاذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما » فاذا تقشعها خفت بها اللذكة من الأرض الى عتار السماء ، وكلفت كل لغة وكل شهوة حسنة كالثال الجبال ، فاذا حملت كان لربها اجر المسلم الصالح القائم المجاهد في سبيل الله ، فاذا ونسحت لم تطم نفس ما أخفى لهم من قرة عين » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسن بن علي عليه السلام قال : بينما علي عليه السلام بين أطيركم بالكوفة وهو يعاريب معاوية بن أبي سفيان في صحن المسجد ثم عفا عتيا بمائل سيفه وعرك الناس محدقين به ، وأترق الناس منه أم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين يأنسهم إذ قال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ، عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما انظر إليه ، فقال أعطى الله ما ، قال : فمعه رأسه ورقى اذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأترق عيناها ، قال ثم رمح رأسه ثم قال :

« نعم » كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم أبيض الوجه مشربا بحمرة ، آدمع العينين ، سبط الشموخ ، عقيق الدرع ، سهل الخدين ، تيسق الأنف ، كث اللحية ، كان شعره مع تسخمة أخيه ، اذا طال كأنما عفته أبريق نضرة ، له شمر من لفته الى بصرته يجري كالقضب ، لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غير : الا أهدات في صدره ، شتى الكف والقدم كأنما ينقطع من صخر أو يهترئ من صلب ، اذا انتفتحت الثمت جميعا ، لم يكن بالطويل ولا بالمساجز اللثيم ، كأنما عرمة النول ، ربح عرقه أطيب من المسك ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ! » .

أصحح أن عفتك أسباب التخلف



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

في مغربه الحضاري — فان هؤلاء
الكاتبين يظنون يلصقون به جريرة
تخلفهم كلما سئلوا عن أسبابه أو كلما
تظاهروا بالنهوض لمعالجته والثورة
عليه .

والتخلف كلمة تشمل كل مظاهر
الضعف أو الجهل أو الفقر في حياة
الامة . فهي اذا ننحط على تفرق
المسلمين وتدابريهم ، وعلى استلاب
اليهود لأراضيهم ، وعلى جمود الحركة
العلمية في حياتهم ، وقعودهم عن
تسخير ما في الأرض لعاشهم .

يزعم هؤلاء الباحثون اذا ، بأن من
أهم ما يمنع وحدة العرب اليوم بقايا
الايمن بالدين وغيبياته في حياتهم ،
ومن أهم ما يمنهم من رد عدوان
اليهود بقايا هذا الدين أيضا ، ومن
أهم ما يكملهم عن الانطلاق في آفاق
المعرفة بقايا هذا الدين نفسه ، ومن
أهم ما يقعدهم عن السبق الاقتصادي
وكثرة الانتاج بقايا هذا الدين ذاته !
ويعلم هؤلاء الباحثون ، كما يعلم

قرأت مقالا في مجلة سيارة ، يحلل
فيه كاتبه أسباب التخلف عند
المسلمين ، وينلمس أهم المعوقات
التي أخرتهم في سباق الانتاج عن
الحاق بغيرهم .

لقد كان من أهم أسباب ذلك في
نظر كاتب المقال ، تلك الآثار الباقية
من الدين وغيبياته عندهم ، وتلك
العقيدة التي تنسب كل شيء الى
الخالق !!

والحقيقة أن ربط التخلف بالدين ،
قد غدا عند كثير من الكتاب العرب ،
حركة آلية في سير تفكيرهم ، تماما
كآلية تصور ارتباط الطعام بقرع
الجرس عند الكلاب التي أجرى عليها
بافلوف نظريته المشهورة عن رد الفعل
الشرطي .

فهما انحسر سلطان الدين
(الذي هو الاسلام في هذا المقام)
عن مجتمعنا العربي وابتعد الناس
عن سبيله وقيوده . ومهما ابتعد عنهم
محسورا في مخزن التاريخ ، منزويا

الاسلام من اُهم وضعف الانتاج ؟

فاين هو مكان العتب على دين تراجع سلطانه عن الحكم ونظامه . وتقلص ظله عن المجتمع وأخلاقه ، ولم يعد أكثر من شعارات فى المساجد وكلمات تردّد فى المحافل ؟ ..

ولئن كان ثمة بقية قليلة من المسلمين الذين لا يزالون على وفاء مع اسلامهم ، فانهم على كل حال يقفون — طوعا أو كرها — بعيدا عن طريق المتقدمين والمتوسّطين الى الإصلاح ، لم يقف واحد منهم يوما ما عثرة فى سبيل وحدة ، ولم يصد عن طريق قوة ، ولا يسعى الى اجهاض مصنع .

الجنس البشرى الثالث :

لم يقل واحد منهم لقطعان الكسالى سمار النوادى ، ونوام الضحى ، المتثابرين بين كل يقظة ونوم : أياكم أن تبرحوا نواديكم الننى تعابثون فيها الحياة ، لتسلخوا سبيل غيركم فى علم يرفع لكم شأنًا أو يثمر لكم مصنعا

غيرهم ، ان هذه الأمة كانت فيما مضى خاضعة خضوعا تاما لسلطان الاسلام ، فحكمها ينبثق عن قانونه ، ومجتمعها قائم على نظامه ، وأخلاقها مسئلة من روحه . وكان ذلك فيما أجمع عليه الباحثون هو سر اتحادها بعد تفرق ، وقونها بعد ضعف وغناها بعد فقر .

فكيف ينعكس الأمر ، ويصبح ما كان سببا للوحدة والقوة والتقدم بالأمس ، سببا للفرقة والضعف والتخلف اليوم ؟ ..

ومع ذلك ، فلو أن من نسميهم اليوم مسلمين لا يزالون يحتكمون الى الاسلام فى قانونه ونظامه وأخلاقه ، لاقررنا بالتناقض تحت سلطان الواقع ولقلنا — والعجب يملأ كياننا — ان الاسلام على ما يبدو ذو أثرين متناقضين !! ..

ولكن من نسميهم اليوم بالمسلمين ، بعيدون عن الاسلام بمقدار ما كان أسلافهم قريبين منه متعلقين به .

أو ينهضكم الى سبيل مع الآخرين في
ارتياح الفضاء .

أجل .. ولم يعمد أي واحد منهم
الى جيش هذا الجنس البشري
الثالث ، الذي لم يعد يفهم الدنيا الا
على أنها ليلة حمراء وفتاة حسناء ،
ولم يعد يذكر لأمته تاريخا . ولا يؤرقه
عليها مصير ، ولا يشاركها في ألم ،
ليقول لأحدهم : استمر كما أنت ، نائما
في أرجوحة الأحلام ، ولا توقظك
غبرة على وطن . أو حرقة على اصلاح
فانما أنت كما قال الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبنيتهما

واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
ولم يتقدم واحد منهم الى أي فرد
من هؤلاء الذين يتبرمون بالتخلف
ومظالمه ، ويطمحون الى التقدم
وأاسبابه ، ويلومون في سبيل ذلك
الدين والمتدينين والمؤمنين بخالق
الخالق ، ليغفله في الأصفاد ، ويشده
الى قاع التخلف حيث الفقر والجوع
والجهل وقلة الإنتاج ! ..

إنهم جميعا يتحركون كما يشاعون ،
ويتجهون الى حيث يريدون ، الميدان
ميدانهم ، والساحة فارغة أمامهم ،
والعدو — أيا كان — مكشوف تحت
أبصارهم . فلماذا كل هذه الضجة
الراكدة في أرضها ، والنزق الذي
لا يتحرك من مكانه ، والصراخ
المتلاحق بدون موجب : اتركني عليهم
.. اتركني عليهم ؟؟ !! .

لو كان بهذه البقية القليلة من
المسلمين الأوفياء لدينهم ، بقية طاقة
للقوف عقبة في وجه شيء ، لوقفوا
عقبة في وجه هذا الكسل الماجن الذي
تحتضنه الملامى الى لمة الصباح ، ثم
يستقبله النوم الثقيل الى وهج الضحى
بل لوقفوا عقبة في سبيل هذه الأحلام
الدائرة التي التفت على كينسونة
الجمهرة الكبرى من شباب هذه الأمة ،
نفسية وعقلا وتفكيراً . بل لوقفوا

عقبة في طريق نفاق يصطنع الحرقة
على الأمة والوطن والمصير ظاهراً ،
وينصرف الى انتطاف ثمار هذه
(الحرقة) مكاسب وأرباحاً . باطناً .
ولكن هذه البقية المسلمة ليس لها
من الأمر شيء .. ليس لها من الأمر
شيء في اصلاح هذا الفساد . أف يكون
لها الأمر كله في افساد ذلك
الصلاح ؟ ..

حقيقة التهمة :

إذا فما هي حقيقة هذه التهمة ؟
حقيقتها أن الخائب الذي يفص
بالاعتراف بخيبته ، يشتهي أن يلحق
بغيره التهمة ويعوض عن خذلانه
بجمعجة فارغة : اتركني عليهم !!
والأ . فما من عاقل ذى نصيب ما
من الثقافة والبحث ، الا وهو يعلم
أن أي أمة من الأمم الناهضة والمتقدمة
لم تكلفها نهضتها أن تنبذ دينها أو
تاريخها أو شيئاً من عاداتها
وتقاليدها . أيا كان مستوى ذلك كله .
لقد نهضت اليابان وأخذت تنافس
اليوم كبرى الدول الأوروبية في شتى
مياادين الصناعة والعلم ، فهل كلفها
ذلك أن تتجرد عن شيء من طقوسها
الدينية أو مقدساتها التاريخية أو أن
تهجر شيئاً من معابدها ، أو تجحد
شيئاً من غيبياتها ؟ .. بل هل تستطيع
لدى المقارنة بين اليابان كما هي اليوم
واليابان منذ بائة عام ، أن تقول أنها
اليوم أشد تحرراً من الدين وغيبياته
التي كانت منقادة لها بالأمس ؟ ..

يقول أحد الصحفيين الاوربيين في
حديث له عن اليابان ونهضتها :

(ان ظفر اليابان بالصين لم يثبت
علو الافكار والمبادئ العلمية التي
أخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل
أثبت أمراً آخر ، وهو أن شعباً
آسيوياً بمجرد أرادته وعزيمته عرف
أن يختار ما رآه الأصلح له من مدينة

الغرب ، مع الاحتفاظ باستقلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته) . ولقد تبوأ أوربا مركزها الحضارى الجديد فى العالم ، دون أن يحملها ذلك على أن تتنكر لمسيحياتها أو تتساهل فى شيء من تقاليدها وموروثاتها الدينية ، أو تجدد شيئا من غيبات تلك التقاليد . بل أن بريطانيا — وقد كانت ولا تزال عنوانا من أبرز عناوين النهضة الاوربية — لا تفخر بشيء من علومها وصناعاتها كما تفخر بمعيق عاداتها وتقاليدها والمحافظة على موروثاتها .

واليهود الذين يحتلون فلسطين وبعضا مما حولها ، لا يشك أحد فى انصرافهم الكلى الى العلوم والصناعات ، ولا يشك أحد فى أنهم يحاربوننا بسلاح العلم والتنظيم أكثر مما يحاربوننا بسلاح من القوة العارية ومع ذلك فهل يجهل أدنى مثقف من الناس أن جميع نشاطاتهم هذه انما تنمو عندهم فى تربة الدين واحضانه ؟ أف تكون هذه الأديان التقليدية ، عوناً عند أربابها على التقدم الحضارى وكثرة الانتاج . ثم يكون الاسلام (وهو الدين الذى ينهض وجوده على دعائم العلم وينبذ كل أسطورة وتقليد) هو وحده من بين الأديان جميعا سببا فى التخلف وعثرة فى طريق التقدم ومعوفا عن الانتاج ؟! هل فى العقلاء الأحرار من يستعد أن يبيع عقله ليمتق هذا المنطق المعكوس ؟

.....
أنا اعلم أن أرباب هذا الزعم المجيب قد يبادروننى قائلين : وهل أوقف عجلة التقدم الاقتصادى عندنا غير الاسلام . عندما حرم الربا ؟ وهل أوقف عجلة التقدم العلمى والاجتماعى والاقتصادى معا غير

الاسلام ، عندما فرض على المرأة الحجاب وحرم عليها الاختلاط ؟ . وأقول فى الجواب على هذا الكلام الذى غدا باليا من كثرة التكرار :

أولا : ما انتم اولاء تحرمون الربا ، وتفسحون له فى حياتكم الاقتصادية سبيلا عريضا تغفل منه الى سائر وجوه المعاملات . ومع ذلك فانه لم يساعدكم فى تحقيق أى تقدم تطمحون به ولا فى تخليصكم من أى تخلف تضجون منه . . فهل جربتم فى مقابل ذلك ما ينادى به الاسلام من ترك الربا ، وسرتم فى أعمالكم الاقتصادية ذاتها — ولو علما واحدا — ضمن هذه التجربة ، ولمستم النتيجة السيئة ليصح لكم أن تقولوا : لقد جربنا نصيحة الاسلام فوقعنا فى شر من التخلف الذى كنا نعانيه ؟ بل استغفر الله ، ما هكذا ينبغى أن أقول .

أنسيتم تجربة بنوك الادخار ، يوم قام بها العالم الاقتصادى النصف المتحرق حقا على أمته ووطنه ، والمتألم حقا من التخلف وأسبابه ، فى منطقة ميت غير بمصر ؟ . بنوك قائمة على أحدث وجوه النشاطات الاقتصادية ، طاهرة مطهرة عن رجس الفائدة والربا ، حيث تحقق لها من النجاح العجيب فى أقل من سنتين ما استقطب ثقة الأمة وحرك دولابا اقتصاديا خطيرا خلف كثيرا من البنوك المحيطة بها الى الوراء . واستيقظ الناس من هذا الفتح الكبير على آمال يرونها مرسومة أمامهم فى منهج علمى سليم ، يحقق لأول مرة أكبر حلم يراود هذه الأمة المسلمة ، منذ أن استحالت عزتها الى احلام . . لقد راوا بأعينهم سبيل التخلص من تبعية الاسترليني والدولار . . والوصول من

العزلة ؟ .. والى أى دليل أو شبهة دليل استندتم فى الربط بين حشمة المرأة كما يأمر به الاسلام ومظاهر الجهل والسخف والتخلف التى يندد بها الاسلام ؟ ..

بل أقول : من أين لكم هذا التلازم المخلق بين أن تبرز المرأة عارية الجسم والمفاتن . وان تنطلق فى دنيا العلم والثقافة والتصنيع ؟

ها هى ذى السوارع والأسواق ، قد فاضت كما تحبون بالعاريات صنوفا وألوانا ، وها هى دوائر الموظفين قد امتلأت بهن حتى لم تعد تتسع لزيد ، فإى قيد من قيود التخلف حطمتوه .. ؟ وإى كسب من اكساب التقدم حقتموه .. ؟

اللهم الا أن جاء من يقول لنا من فوق سور المنطق والعقل : ان ظهور المرأة بهذا الشكل فى الشوارع والدوائر هو عين التقدم المطلوب ، فهو غاية بذاتها وليس وسيلة الى غيرها .

ونقول لهؤلاء : فاهنؤوا اذا بأنكم تقفون فى مصاف الدول المتقدمة الكبرى ، وكفاكم حديثا عن التخلف وتأفما عن الفقر والجهل والضعف ، فان ذلك كله ليس الا وهما تتخيلونه .. وحسبكم ان قارنتم أنفسكم بالمتقدمين أن تعلموا بأن نساءكم قد غدون نهودا ، مع الرجال فى كل ناد ودائرة وملتقى ، أكثر مما قد يكون ذلك لدى أى أمة من الأمم المتقدمة الأخرى ..

فأما اذا أردنا أن نعود فنخاطب العقلاء ، فانا نتابع الحديث فنقول : سلوا الفتيات اللائى جربن حشمة الاسلام وحجاب القرآن ، هل منعهن ذلك من متابعة درس فى كتاب ، أو مواظبة حضور فى الجامعة ، أو هل صدهن ذلك عن القيام بأى عمل

ورائه الى حقيقة الاستقلال الاقتصادى الذى طالما هتف به (كلاما فارغا) تجار المناصب والأهواء ، استقلال يظله ويرعاه الدينار الإسلامى ، من وراء تطبيق منهج لبعت اقتصاد علمى دقيق ، يخضع لقانون الله ، وينسجم مع تطور الحياة ، ويتحرر من سجن اليهودية العالمية الكبير .

فلماذا وقف هذا المشروع ثم اختنق مع العلم بأنه انطلق منذ يوم وجوده يسير فوق أرفع ذروة من ذرى النجاح ؟ ! ..

بل ينبغي أن أكون دقيقا فى التعبير فأقول : لماذا أوقف هذا المشروع ثم خنق ؟ !

سلوا الرجل الذى خنقه بعد نجاحه (وهو حى يرزق) لماذا خنقه ؟ .. ولماذا أصر اصراره العجيب على أن لا يترك المشروع يواصل سيره الا اذا خضع لقانون الفائدة ؟ ! .

لقد سلكتم الى التقدم والازدهار الاقتصادى كل سبيل يعجبكم فما انتهى بكم السبيل الا الى مزيد من التخلف والضعف .

وسلك صاحب هذا المشروع الى الغاية نفسها سبيل الخالق الحكيم فحقق العجيب من ألوان النجاح خلال عامين فقط (وسجلات الحساب والارياح لا تزال محفوظة) ثم جاء منكم من أسرع هائجا وأغلق عليه فم الطريق .. فمن الذى يكرس أسباب التخلف ويقف فى وجه التقدم ؟ .

.....

ثانيا : فى 'ى قرآن أو سنة رأيتم أن الحجاب الذى فرضه الله قانونا على المرأة المسلمة ، انما يعنى أثقالا من الحمود تحت كلل الماضى ، وانحباسا عن المجتمع فى كهوف

انسانى سليم ، تستهدف منه الغاية ولا يستغل من أجل خدعة أو اثارة فتنة ؟ .. أو هن أثقلهن الحجاب عن ممارسة أى نشاط اجتماعى يبتغى من ورائه احقاق حق أو ابطال باطل أو معونة ضعيف .. ؟

اننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، ان فتياتنا المتحجبات الجامعيات ، هن الصفوة الأولى فى النجاح وقوة الدراية وسلامة الوعى فى أى فرع من فروع الدراسة والعلم .. واننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، ان فى فتياتنا المتحجبات من تمارس النشاط الاجتماعى فى سبيل أمتها صنوفا ، والوانا ، بصدق وحزم واخلاص وعلى مستوى من الاهتمام لا تلتفه أى واحدة من هؤلاء اللاتى ينفقن أيام حياتهن على النظر فى أعطافهن وتمهد زينتهن .

أجل .. لقد امتنعت المرأة المسلمة من أن تعرض جسمها للرجل حتى ولو كان طبيبا . ولكنها لم تغلق الباب على نفسها لتعرض جسمها ، بدلا منه على الموت وأسبابه ، وانما انطلقت تدرس الطب كما يدرسه الرجل وعادت فأخرجت لأخواتها مستشفيات تنهض على أحدث وسائل الرعاية والعلاج . تشرف عليها نساء مسلمات يحملن أعلى درجات العلم والاختصاص .

نعم .. ولقد امتنعت المرأة المسلمة عن أن تستعين بفن الرجل فى الميكانيك وقيادة السيارة ، فيما قد يحوجها نشاطها الانسانى ، ولكنها لم ترتد بذلك على أعقابها ، ولم تطو شيئا من منهاج نشاطها ، بل اقتصت هى الأخرى بالميكانيك وتعلمت قيادة السيارة وفن صيانتها ، ثم عادت وقد حققت مبدأ الاكتفاء الذاتى فى المدارس التى ترعاها والمستشفيات

التي تديرها وهكذا تجسد تكامل الدين والدنيا (وهذا هو الاسلام) فى مظهر امرأة مسلمة متحجبة تقود سيارة الاطفال ، وتسعف جرحى الحرب ، وتطيب المرضى ، وتعلم الجهال . دون أن تتعثر فى طريق شيء من ذلك بحجابها المحتشم أو دينها القويم أو خوفها من الفاطر الحكيم (١) .

هذا كله على حين لم يتجسد النشاط الانسانى — فى غالب الأحيان — عند الأخريات ، الا فى عرض مزيد من المفاتن ، واتقان مزيد من فن الاتيكيت ، ومزيد من فن الجلوس فى الصالونات .. تلك هى الفتاة الاجتماعية الصالحة ، كما يروق للمتاملين من التخلف ، العاكفين فى هم منقطع النظر ، على معالجه ودراسة أسبابه .. !!

*** ** *

أطلت ذيل هذا الكلام ، وانما أردت أن أجعله مقدمة بين يدي أصل الموضوع وهو البحث، فى أمرين اثنين :

أولهما : هذا الذى ينسبوننا اليه بتسميتنا : (غيبين) ما هو الغيبى من الأشياء ؟ .. وهل كل غيبى وهم ؟ .. وهل فى العقلاء من لا يصدق غيبا فى حياته ؟

ثانيهما : ما هى حقيقة أسباب التخلف الاقتصادى وغيره ، كما هو واقع فى نفس الأمر ، لا كما تشتت فيه نفوس أصحاب الأمانى ؟ وموعدا فى معالجة ذلك لقاء فى عدد قادم ان شاء الله .

(١) ليسى هذا خيالا نتيناه ، بل هو واقع معروف نخبه عنه .

رسالة الإسلام ..

وخصائص الشخصيات البارزة

للمستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ - من الحقائق التي ينطق بها كتاب الإسلام « القرآن الكريم » ويؤمن بها المسلمون ويعتقدونها ، أن الإسلام هو الدين الذي يرث الأديان السماوية التي سبقتة ، ويحتوى حقائقها جميعها ، ويهيمن عليها ، إذ كان الإسلام خاتم الديانات ، فلا دين بعده ، وإذ كان رسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعد نبوته ، ولا رسالة بعد رسالته . . يقول الله تعالى : **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** (١٩ : آل عمران) ويقول سبحانه : **« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَلَنْ يَصْلَحَ شَيْئاً وَهُوَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكٌ »** (٨٥ : آل عمران) . . ومن هنا كانت دعوة الإسلام عامة للناس جميعا ، على اختلاف مسنتهم وألوانهم وأجناسهم وأوطانهم ، على امتداد المكان والزمان ، إلى يرم الدين . . فمن بلغته دعوة الإسلام بلاغا يكشف له عن وجهه ، ويبين له مضمونه ، ثم لم يؤمن بهذه الدعوة ، ويدخل في دين الله ، يأخذ نفعه بشريعته ، فهو من الكافرين . .

يقول ابن تيمية رحمه الله : « وما يجب أن يعلم ، هو أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنسي ولا جنيّ إلا وجب عليه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه . . فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته ، ثم لم يؤمن به فهو كافر ، إنسياً كان أو جنياً » (١) .
فالرسول - صلات الله وسلامه عليه - هو رسول الله إلى النفلين

عامة ، وإلى الناس خاصة ، يقول الله تعالى : « قل يا أيها الناس أنى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والأرضى ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأسمى ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (١٥٨ : الأعراف) ويقول جل شأنه : « وأرسلناك للناس رسولا » (٧٩ : النساء) . ويقول تبارك اسمه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢١٧ : الأنبياء) ويقول سبحانه : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيئا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢٨ : سبا) .

ومن هنا ، ناه لا حجة لأهل الكتاب — من اليهود والنصارى — بأنهم على دين مساوى من عند الله . . وعلى فرض التسليم بما يزعمون من أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا فيما بين أيديهم من التوراة والإنجيل ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم بطلان هذا الزعم . وأنهم قد أحدثوا فى الكتابين الكريمين من التحريف ، والتبديل ، ونسب التاويل ما غير وجه الحق الذى فيهما — نقول على فرض التسليم بما زعموا ، فإنهم محجوجون بما يطعمون من كتبهم ، وما فيها من بشارات بظهور هذا النبى الأسمى ، كما يقول تعالى عن اليهود : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعلنا الله على الكافرين » (٨٦ : البقرة) . ويقول جل شأنه فى اليهود أيضا : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم فبذؤريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كانوا لا يعلمون » (١٠١ : البقرة) . ويقول سبحانه عن اتباع المسيح ، على لسان المسيح : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل أنى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبعثرا برسول ياتى من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ، ومن أضل ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى إلى الاسلام ، والله لا يهدي القوم الظالمين » (٦ و ٧ : الصف) .

٢ — ثم إنه من جهة أخرى ، اذا كانت دعوة الاسلام دعوة جامعة للإنس والجن ، فإن من مفهوم ذلك أن تكون رسالة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — ملى مواجهة الإنس أولا ، ثم فى مواجهة الجن ثانيا ، بمعنى أن يواجه الرسول — صلى الله عليه وسلم — سيدعوته الناس جميعا ، ثم بعد أن يظلم بلاء مهم يتجه إلى العالم الثانى المقابل للإنس ، وهو عالم الجن ، وهذا ما حدث فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، فإن الرسول الكريم بدأ دعوته فى مكة ، التى واجه فيها المشركين الذين يمثلون بشركهم وعنادهم ، الشرك والعناد فى جميع صسورهما ، وقد ظل الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى هذا الموقف أكثر من عشر سنوات ، ثم كان استماع الجن إلى ما يظن من آيات الله ، وهر عائد من الطائف ، بعد أن ذهب إلى أهل ثقيف ، لعله قد يجد منهم ما لم يجده من أهل مكة من الاستجابة لدعوته ، فكان موقفهم من تلك الدعوة أكثر إيمانا فى العناد والضلال من موقف قريش ، فانصرف النبى الكريم عنهم : عائدا إلى مكة ، وفى الطريق نزل بمكان يعرف بوادى نخلة ، وبات هناك ليلة مع مولاه زيد بن حارثة ، يرتل آيات الله ، وقد أقبل نفر من الجن على هذه التلاوة يستمعون إليها ، ثم لم يابثوا أن يؤمنوا بما سمعوا ، وأن يدخلوا فى دين الله ، وأن يكونوا حيلة تلك الدعوة إلى قومهم . . كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم بما حدث ، حتى تلقى ما أوحى

إليه من ربه فى قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يففر لكم من ذنوبكم ويحركم من عذاب أليم » (٢٩ — ٣١ : الاحقاف) .

يقول ابن تيمية — رحمه الله — : « ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن . وولوا الى قومهم منذرين » (٢) . وفى القرآن الكريم سورة سميت باسم الجن . وقد بدئت بقوله تعالى : « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفرٌ من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا » .

٣ — ومن جهة ثالثة . فان القرآن الكريم تحدى فى أكثر من آية ، ايا من الناس ، متفرقين أو مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ، أو بمشر سور ، حتى يكون مجال الاختيار متسما أمامهم . فقال تعالى : « وأن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين » (٢٣ و ٢٤ : البقرة) ويقول سبحانه : « أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » (٣٨ و ٣٩ : يونس) . ويقول جل شأنه : « أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بمشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، أن كنتم صادقين » (١٣ : هود) . ثم بعد أن تقوم الحجة بالاعجاز على الناس أجمعين ، ويبلسوا أمام هذا التحدى مرة ، ومرة ، ومرة ، يدعى عالم الجن معهم ، لياخذ مكانه بينهم فى موقف التحدى ، اذ يقول سبحانه : « قل لأنّ اهتيمت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٨٨ : الإسراء) .

والتحدى بالمعجزة التى بين أيدي الرسل — عليهم السلام — انما تكون فى مواجهة من يدعون الى الايمان بالرسول الذى يحمل تلك المعجزة ، وذلك فى محيط قومه الذين جاء اليهم . . فهؤلاء قوم نوح يتحدون نبيهم أن ياتيهم بالعذاب الذى تهددهم به إن لم يؤمنوا ، فانه ان فعل ذلك كان صادقا فيما يدعيه من أنه رسول من عند الله ، والا فهو عندهم على الوصف الذى وصفوه به من الكذب والافتراء : « قالوا يا نوح ، قد جادلتنا فاكثرت جدالتنا ، فاتنا بما نعتنا إن كنت من الصادقين . . قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين » (٣٢ و ٣٣ : هود) وهذا صالح — عليه السلام — يقول لقومه ، وهو يقدم بين يديه الآية المعجزة الدالة على صدقه . بعد أن لجوا فى عنادهم وتكذيبهم له : « ويا قوم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تاكل فى ارض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب » (٦٤ : هود) وموسى عليه السلام يرى قومه من آيات الله ، ما كانت تفعل العصا فى يده من انقلابها حية تسمى ، ومن فرق البحر بها ، ومن تفجير الماء من الصخر يضربه بها . . وعيسى — عليه السلام — يجىء الى قومه . بنى اسرائيل بالآيات البينات ، كما يقول سبحانه : « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم ، انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرئ الاكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون وما

تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين» (٤٩ : آل عمران) .
هذه هي معجزات الرسل — قبل معجزة خاتم النبيين وهي القرآن —
مقصورة على جماعة من الناس بأعيانهم وازمانهم ، تتحداهم وتقيم الحجة
عليهم ..

فإذا كان التحدي بالقرآن الكريم تحديا للإنس والجن ، وعلى امتداد
الزمان ، فان منطق هذا التحدي هو أن يكون الإنس والجن مدعووين جميعا
الى ما يدعو اليه الرسول الذي بين يديه تلك المعجزة .. فمن استجاب لتلك
الدعوة فهو من المؤمنين ، ومن أبى ، فهو من الكافرين ، ولا ثالث بعد هذين
الأميرين .. فاما إيمان فيه سلامة ونجاة ، واما كفر فيه بلاء وهلاك ..
{ ثم إنه لكي يستقيم هذا المعنى ، ويصدق هذا الحكم ، لا بد من أن
تكون طبيعة هذه المعجزة المحمدية بحيث تسع الناس جميعا ، في أى مكان
وأى زمان ، وبحيث يستطيع كل انسان أن يجدها حيث يطلبها ، وأن ينظر
فيها بنفسه ، وأن يرجع فيها الى عقله ، بحيث يشهد منها الدليل القائم على
صدق الرسول ، وصدق ما يدعو اليه .

فهل في المعجزة القرآنية ما يحقق هذه المعاني على تلك الصورة ؟
ونعم ، فان من تدبير الحكيم العليم ، لإقامة هذه المعجزة حجة على
الناس جميعا الى يوم القيامة — أن جعلها سبحانه معجزة في كلمات من
كلماته سبحانه ، تخاطب العقل الإنساني في أدنى مستوياته الى أعلاها ،
وأنها تضع هذا العقل أمام اختبار يسلمه دائما الى العجز بين يدي هذه
المعجزات من آيات الله وكلماته .. وأنه ما دام مع الانسان عقل ، فانه مدعو
الى مواجهة هذه المعجزة أو المعجزات ، ومطالب بالتسليم لها بعد أن يستبين
له موقع الإعجاز منها ، والا كان مكابرا معاندا ، يلقي جزاء المكابرين المعاندين
ه — وليس إعجاز القرآن وجها واحدا من حيث بلاغته وفصاحته التي
أعجزت العرب ، لأول آيات نزلت من الكتاب الكريم ، بل ان البلاغة والبيان ،
وعلو الأسلوب عن قدرة أبلغ البلغاء وأبين الأبياء ، ليس الا وجها واحدا من
وجوه النظم القرآني ، الذي تقوم معه وجوه أخرى كثيرة للإعجاز .. منها
مقررات الشريعة التي حملها كتاب الله الكريم في أحكامها التأديبية للخارجين
على حدود الله ، أو الخارجين على ناموس المجتمع ، وذلك فيما فرضت
الشريعة من حدود في القتل ، والزنا ، والسرقه ، وقذف المحصنات ،
والإفساد في الأرض ، كما يقول سبحانه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض .. ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم
في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن
الله غفور رحيم » (٣٣ و ٣٤ : المائدة) .. ثم من وجوه الإعجاز أيضا ما
قررتة الشريعة الإسلامية في الاموال ، كسبا وانفاقا ، وفي المعاملات فيما
وشراء ، وفي الدين ، والربا ، وفي المواريث ، والزكاة ، والصدقات .. ثم
من وجوه الإعجاز في التشريع ما جاء في الزواج وأحكامه ، وما لحقوق كل
من الزوجين على الآخر ، وما للمولودين من حقوق على الوالدين ، من نفقة ،
وارضاع ، وتربية ، وما للوالدين على الأولاد من طاعة وبر واحسان .. ثم
ما يعرض للأسرة من عوارض بشرية تقتضى الطلاق ، أو التعدد ، مما يدفع به
شر أعظم وأخطر من أى شر ، حيث يحمى بذلك الأسرة من الانحلال ،
والنفسخ والضياع ..

ثم تبلى هذا كله ما جاءت به الشريعة الإسلامية في التعرف على الله ،
والتعريف به ، ووصفه الوصف الحق ، الذي لم تبليغه عقول الفلاسفة ، ولم
تهتد إليه خيالات الكهان والرهبان .

كل هذا ، وكثير غيره مما حملك كتاب الله من شريعة الله ، يمكن نقله إلى أية لغة ، حيث يرى الناظر فيها من دقة الأحكام ، وروعة التشريع ، ووفائه بجميع متطلبات الحياة الروحية ، والعقلية ، والمادية ، على أكمل وأحكم مما تتطوع إليه الإنسانية في أعلى مستوى تباهه ، الأمر الذي عجزت عنه القوانين والأحكام الوضعية التي لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وجه ، ولا تقيم الناس على سلام ، ولهذا تتبدل وتتغير يوماً بعد يوم وكلما أصلح منها عيب ، بدت عيوب ، قد جرى عليها الإصلاح من قبل ولم يكن شيئاً .

٦- فإذا نظرنا إلى اليهود والنصارى ، من أهل الكتاب ، كان شأنهم مع الدعوة الإسلامية ، شأن الناس جميعاً من هم ليسوا على دين سماوي . . . ذلك أن أهل الكتاب ، هم على دين وعلى شريعة ، إلى أن جاء النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه ، للناس كافة ، حيث كان مجتمعاً ، وكانت رسالته ، وكانت شريعته رحمة للناس جميعاً ، ومنهم أهل الكتاب . . .

[illegible][illegible]

1. The first part of the document is a letter from the President of the United States to the Congress, dated January 1, 1865. It is a copy of the original letter, and is signed by Abraham Lincoln. The letter is addressed to the Congress, and is dated January 1, 1865. It is a copy of the original letter, and is signed by Abraham Lincoln.

الآخرة ، إنا هذنا إليك » و يجيبه الحق سبحانه وتعالى بقوله : « قال عذابي أصيب به من أنشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ، فساكنتها الذين ينقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ، والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون » (١٥٧ : الأعراف) . . . هذا الدعاء الذي دعا به موسى ربه لرفع البلاء عن قومه ، هو دعاء موقف اجابته على تحقق شرط منهم ، وهو أن يؤمنوا بهذا النبي الأمي . الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، والذي يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث . . . فإذا آمنوا بهذا الرسول رفع عنهم هذا البلاء الذي ابتلاهم الله تعالى به : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » والا فمهم باتون قيد هذا الابتلاء ، ثم هم كافرون لأنهم لم يؤمنوا بما وجده في التوراة والإنجيل من دعوة الى الايمان برسول الله . .

ثم يأتي بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى ، آمرا نبيه الكريم ان يؤذن في الناس جميعا بتلك الدعوة الإلهية : « قل يا أيها الناس ، اني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي » ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (١٥٨ : الأعراف) .

نهاتان الآيتان الكريمتان ، تقرران في صراحة ، وبيان مبين ، ان رسالة الإسلام رسالة عامة شاملة ، للناس جميعا على امتداد الأزمان ، وأن اليهود والنصارى ، لن تكتب لهم رحمة الله ، ولن يخرجوا من الابتلاء المضروب عليهم ، ولن يكونوا من المؤمنين الا اذا تابعتوا النبي الأمي . واستجابوا لدعوته ، ودخلوا في دين الله ، مسلمين ، ووسعتهم رحمة الله التي وسعت كل شيء .

٧ - واذا عرفنا ان هذه الآيات التي تدعو اهل الكتاب الى الايمان بالنبي الأمي ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، اذا عرفنا ان هذه الآيات آيات مكية ، في سورة مكية . وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد واجه اهل الكتاب بعد ، ولم يكن بينه وبينهم لقاء مباشر بدعوته — اذا عرفنا هذا أدركنا سر هذه الإشارات البعيدة التي كان يشير بها القرآن المكي الى اليهود من اهل الكتاب ، حيث كانت هذه ارهاصا بالمواجهة الصريحة التي ستكون بين النبي واليهود ، بعد أن يهاجر صلوات الله وسلامه عليه الى المدينة ، ويلتقي باليهود . الذين يقابلون دعوته بالمركر الخبيث . والكيد العظيم ، ثم المواجهة السافرة في تحالفهم مع المشركين على حرب النبي وأصحابه في غزوة الخندق . مما انتهى به امرهم الى اجلائهم من المدينة في عهد النبي ، ثم اجلائهم من الجزيرة العربية كلها ، في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

ونخلص من هذا الى القول بأن دعوة الاسلام قائمة على اهل الكتاب

فى مشارق الارض ومفاريها ، على امتداد الزمن ، وأنهم مطالبون من دينهم ومن الكتب السماوية التى بين أيديهم أن يؤمنوا إيماناً مجدداً بالدين الاسلامى ، وأن يصلوا إيمانهم بكتب الله التى فى أيديهم بالإيمان ، بالكتاب المصدق لها ، والمهيمن عليها ، وهو القرآن الكريم الذى هو حجة الله عليهم ، كما هو حجة على كل من بلغته دعوته . . يقول الله تعالى : « **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** » (٤٨ : المائدة) . . ويقول سبحانه : « **وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِتُذَكَّرُوا بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** » (١٩ : الأنعام) .

فمن لم يؤمن بالاسلام ، وبرسول الاسلام . وبكتاب الاسلام ، اذا بلغته الدعوة الاسلامية سواء اكان من اهل الكتاب ، أو من غير اهل الكتاب ، فهو من الكافرين : « **وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** » (٨٥ : آل عمران) .

وقد اخذ الله تعالى الميثاق على النبيين وأتباع النبيين ، أن يؤمنوا بالرسول الذى يأتى مصدقاً لما معهم ، وأن ينصروا دعوته ، يقول سبحانه وتعالى : « **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قُلْ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا** وأنا معكم من الشاهدين » (٨١ : آل عمران) . .

فالذين ينتقضون هذا الميثاق من أتباع النبيين ، ولا يؤمنون بالرسول الذى جاء مصدقاً لما معهم ، ولا ينصرون دعوته ضد المناوئين لها — هم واقعون تحت قوله تعالى : « **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** » (٢٧ : البقرة) . .



-
- (١) الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، لابن تيمية . . ص : ٨٠
 - (٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية . . ص : ٨١
 - (٣) ذلك لأن المسيح عليه السلام ، ليس له شريعة . وإنما كانت شريعة موسى هي شريعته ، وشريعة كل من يتبعه . وفى هذا يقول المسيح فى الانجيل : « **ما جئت لآتقضى الناموس ، وإنما جئت لأكمل** » ولهذا فان كل مسيحي يدين بالنوراة — المهد القديم — وبالانجيل — المهد الجديد — والاول شريعة ، والثانى آداب وأخلاقيات . .

الاقتصاد الإسلامي والدور الذي يمكن أن يلعب

للكتور محمد شوقي الفنجري

لعل من أهم الدراسات الاقتصادية اليوم ، الاقتصاد الإسلامي وليس
ذلك لصلتنا بالإسلام فحسب ، وإنما إيماننا من بالدور الضخم الفعّال الذي
يمكن أن يؤديه الاقتصاد الإسلامي ، سواء :

- بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية .
 - أو بالنسبة للعالم الإسلامي .
 - أو بالنسبة للعالم أجمع .
- ونبين ذلك فيما يلي : —

دور الاقتصاد الإسلامي بالنسبة لمعركة القضاء على
التخلف من خلال التنمية الاقتصادية

١ — التنمية الاقتصادية ذات بعد جماهيري :

إن معركة اليوم الاقتصادية ، هي معركة القضاء على التخلف عن طريق
التنمية الاقتصادية ، ومن المتفق عليه لدى أساتذة التنمية الاقتصادية ، أنه لا
يكفى في هذه المعركة هيئة الدولة باعتبارها ممثلة للمجتمع على ما يسمى
بالقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومي ، كالتجارة الخارجية والصناعات

الاساسية ووسائل النقل الرئيسية . كما لا يكفى اعداد خطط التنمية ومتابعة تنفيذها على المستوى الرسمى . وانما يتطلب الأمر التعبئة الشاملة للشعب كله لتحقيق التنمية بأعلى معدلات ، ومقاومة كافة صور الانحراف والاستغلال ، وبحيث تستقر خطط التنمية فى رعى المواطنين . وتنقل منه الى الممارسة الفعلية .

فالراى الآن منعقد على ان عملية التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية فحسب ، ولكنها عملية ذات بعد جماهيرى . ومن هنا كان الحرص على اشراك الجماهير على كافة مستوياتها فى مناقشة مشروعات التنمية الاقتصادية ، وفى متابعة نتائج تنفيذها .

٢ - التنمية الاقتصادية والجهاد المقدس :

واذا كان من المسلم به ان حركة الشعب كله شرط أساسى لانجاح أية تنمية وأية معركة شاملة ضد التخلف ، فانه لا بد أن نتعرف على مشاعر كل شعب ونفسيته وتاريخه لتعبئة كل قواه وطاقاته للمعركة ضد التخلف ومن أجل التنمية . ولا شك انه بالنسبة للشعوب الاسلامية ، يعتبر الاسلام عاملا أساسيا ان لم يكن العامل الرئيسى ، لانجاح كل معركة تخوضها هذه الشعوب . .

لقد استطاع جمال الدين الافغانى ان يربط بين فكرة الجهاد المقدس والتخلص من الاستعمار . وبقوة تعاليم الاسلام ووضوحها فى العزة والحرية ، خاضت الشعوب الاسلامية معركتها من أجل الاستقلال . وما كانت تستطيع أندونيسيا وباكستان والشام وليبيا والجزائر وغيرها ان تقدم عن رضا واصرار ، ملايين الشهداء الا بتأثير تعاليم الاسلام (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) (النساء ٧٤) . (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) (البقرة ١٥٤) .

ولما كانت المشكلة الاساسية التى تواجه الشعوب الاسلامية اليوم ، هى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فاننا نرى ضرورة ربط التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المخزنة فى الفرد المسلم ، وتحقيقا للتنمية الاقتصادية باحالتها الى ممارسة دينية . ذلك ان توام المجتمع الاسلامى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (آل عمران ١١٠) . والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة اساسية العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية ، والنهى عن المنكر يشمل أساسا القضاء على أهم صوره الا وهو التخلف الاقتصادى ، ذلك التخلف الذى يؤدى الى كثير من المساوئ الاجتماعية والانحرافات الخلقية .

ولوكسمبورج . وان التمهيد الآن لوحدة أوروبا السياسية يأخذ مجراه عن طريق السوق الأوروبية المشتركة . وان نهوض اليابان بعد هزيمتها المنكرة فى الحرب العالمية الثانية ، وتحديدها اليوم لأمريكا وفرض أرادتها على المجتمع الدولي ، انما كان نتيجة حتمية لمخططها الجديد الرشيد « السياسة فى خدمة الاقتصاد » وليس « الاقتصاد فى خدمة السياسة » .

وأيا كان الأمر ، فانه يجب ان نعلنها حربا مقدسة ضد العدوان الاسرائيلى وضد التخلف الاقتصادى ، وان نربط معركتنا من أجل ازالة آثار العدوان ومن أجل التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس ، وان ترتبط الدول العربية ببعضها اقتصاديا كخطوة أولى أساسية وكأقصر طريق يؤدى حتيا الى ارتباطها سياسيا .

دور الاقتصاد الإسلامى بالنسبة للعالم الإسلامى

١ — الاقتصاد الإسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يتوافر له التجاوب لدى الشعوب الإسلامية :

يشمل العالم الإسلامى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم (منهم نحو ٨٥ مليون عربى) أى نحو ١٥ ٪ من سكان هذا الكوكب ، أو قل ان واحدا من كل ستة أو سبعة أشخاص فى العالم يدين بالإسلام . « والإسلام بعد هذا فى توسع ديننا ميكي مضطرب بعيد المدى ، بل لعله اليوم أكثر الأديان نموا عدديا . فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيا ، وربما فى آسيا المدارية ، بالإضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه . . . ومن المرجح ان قوته النسبية فى ديموغرافية العالم ستزداد باستمرار وقد لا تحل دورة القرن الا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين » . ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الإسلامى ودوره بالنسبة للعالم الإسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به حضاريا جماهير هذا العالم ، ويتوافر له التجاوب والاطمئنان النفسى .

٢ — الاقتصاد الإسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى تتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ :

يضاف الى ما تقدم ان أساس الاقتصاد الإسلامى هو الشريعة الإسلامية وهى أحكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الدينية وإيمانهم ان الإسلام دين نزل من السماء على خاتم النبيين ، وأنه لا يقتصر على مجرد العبادة والهداية الروحية ولكنه أساسا أسلوب للحياة وتنظيم

سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع .

ولا شك ان ارتباط الاقتصاد الاسلامى بالعقيدة الدينية ، يخلق له الجوار والمناخ لتقبل احكامه وضمان قوة تنفيذها . واذا كان مدخل أى تحرك أو اصلاح اجتماعى أو اقتصادى ، هو غرس افكاره ومبادئه فى العقول والنفوس قبل محاولة اخراجها الى ميدان العمل ، وهو اعداد المناخ ونهيئة الناس للاقبال عن اقتناع على هذا الاصلاح والمشاركة فى هذا التحرك قبل محاولة حملهم عليه بقوة القانون وسلطان الدولة ، فانه يجدر بنا ان نستفيد فى هذا المجال من العقيدة الدينية فى الاسلام التى هى عقيدة التقدم والتطور والصالح العام . والايان فيها ليس ايماننا مجردا أو مينافيزيقيا (غيبيا) ، وانما هو ايمان يحدد مرتبط بالعمل والانتاج (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**) (البينة ٧) ومرتبطة بالعدل وحسن التوزيع (**أعدلوا هو أقرب للتقوى** — المائدة / ٨) ، وان أكبر تكذيب للدين هو ترك احد أفراد المجتمع يعاني الضياع والحرمان (**أرايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين .**) (الماعون ١ — ٣) . فيجدر بنا ، أن نقوم اقتصادنا على أساس تعاليم الاسلام لنضمن له الفاعلية وقوة التنفيذ ، وهو غاية ما يتطلع اليه أى تنظيم اقتصادى ينفذ النجاح والاستمرار .

ومن هنا تبرز من زاوية أخرى ، أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى . بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به عقائدي جماهير هذا العالم وتتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ .

٣ — الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير العالم الاسلامى الوحدة والانسجام :

وثمة نقطة أخرى تحتم على المسئولين فى العالم الاسلامى أعمال الاقتصاد الاسلامى والتزامه وهى القضاء على هذا التمزق الذى يعانيه أفراد الأمة الاسلامية موزعين بين ضميرهم الدينى وقوانينهم الوضعية .

حقا ان أغلب دساتير الدول الاسلامية تنص على أن الاسلام هو دين الدولة رسمى ، وقد تنص على ان الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع أو المصدر الرئيسى له . ولكن ستبقى هذه النصوص مجرد شعارات جوفاء ، ما لم يقيم علماء الاسلام بابرار تعاليم الاسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويبيان كيفية أعمالها بحسب ظروف كل زمان ومكان ، وما لم يقيم الحكام من

جانبهم بوضع هذه التعاليم موضع التطبيق وعلى رأسها في المجال السياسي
الشورى وحرية ابداء الراى . وفى المجال الاقتصادى ضمان حد الكفاية لكل
مواطن والتضاء على البؤس والحاجة .

ومن هنا تبرز من زاوية اخرى . اهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره
بالنسبة للعالم الاسلامى . بوصفه المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير هذا
العالم الوحدة والتناسق بين حياتهم المادية والروحية .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم اجمع

1 — ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

يتجاذب العالم اتجاهان . الاتجاه الفردى (الراسالى) والاتجاه الجماعى
(الاشتراكى) . وقد رأينا ان لكل منهما سياسة اقتصادية معينة . لهما محاسنها
ولها مساوئها .

وقد سبق أن أوضحنا على صفحات الوعى الاسلامى . ان للاسلام
اتجاهها خاصا . وان له سياسة اقتصادية متميزة وهى سياسة ان اتفقت مع
السياسات الاقتصادية الاخرى فى بعض الخطوط والفروع الا انها سياسة
منفردة ذلك انها :

أولاً : سياسة تجمع بين الثبات والتطور . فهى سياسة ثابتة خالدة من
حيث اصولها العامة وضمناتها — منذ البداية — الحاجات الاساسية للفرد
والمجتمع . بفض النظر عن درجة تطوره واثكال الانتاج . وهى سياسة
متغيرة ومتطورة من حيث تطبيقاتها العديدة لهذه الاصول بحسب ظروف
الزمان والمكان .

ثانياً : وهى سياسة تجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة . وكلاهما
يديها أصلاً . فبى لا تهدر المصلحة العامة شأن النظم الفردية ، ولا تهمل
المصلحة الخاصة شأن النظم الجماعية . وانما هى — منذ البداية — تعتمد
على المصلحتين على درجة واحدة وتحاول دوما التوفيق بينهما .
على انه اذا تعذرت هذه الملاعة او الموازنة بين المصلحتين . وهو ما
يكون الا فى الظروف الاستثنائية او غير العادية كحالة الحروب او الاوبئة
او المجاعات . فانه فى مثل هذه الحالات تضحي المصلحة الخاصة من اجل
المصلحة العامة .

ثالثاً : وهي سياسة تجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، حيث تعتبر الفرد في مباشرته نشاطه الاقتصادي البحث ، متعبدا طالما كان هذا النشاط مشروعاً ومستهدفاً به وجه الله تعالى . بل انه يكافئ ويشاب على ذلك النشاط بقدر اتقانه لعمله وبقدر ما يعود به من منفعة على اكبر عدد من الناس .

فليس هناك في الاسلام اصطدام بين المادة والروح ، وليس هناك انفصال بين الاقتصاد والدين . بل هناك ارتباط وثيق بينهما يحقق فلاح الدنيا والآخرة . فالدنيا هي مزرعة الآخرة . والانسان هو خليفة الله في أرضه ، وغاية النشاط الاقتصادي هو تعمير الدنيا وحيائها .

٢ - جدلية السياسة الاقتصادية الإسلامية :

فالسياسة الاقتصادية في الاسلام كما يتضح لنا ، سياسة شاملة منضبطة تنظر الى جميع الجوانب الانسانية وتدخل في اعتبارها كافة الحاجات البشرية ، وتوفق بينهما بأسلوب جدلي (ديالكتيكي) . .

ولكنه أسلوب جدلي خاص . ذلك ان الاسلام يقر التناقضات الاجتماعية الموجودة في الحياة : الثبات والتطور ، مصلحة الفرد ومصالح الجماعة ، المصالح المادية والحاجات الروحية . الا ان نقطة الخلاف الاساسية في نظرنا بين الاسلام وكأنه المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، تتمثل في ان هذه التناقضات الاجتماعية ، تعتبر في نظر الاسلام كالمسالب والموجب ، للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتيال . ومن ثم فهو على خلاف كافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، يعمل على التوفيق بين تلك التناقضات لا على جحد أو نفى أحداها للآخرى . على أنه في بعض الحالات الخاصة قد يغلب أحداها على الأخرى ولكن ، بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة وذلك لاعادة التوازن وتحقيق التعاون الذي هو مبتغاه .

واذا كانت السياسة الاقتصادية الإسلامية — على نحو ما سبق بيانه — تتوفق بين كافة المصالح المتعارضة بما يحقق الصالح العام ، وتقدم الحل العملي للمشكلة الاقتصادية ، وبالتالي لمشكلة الحرب والسلام ، فإنه من الغير ان نقول في هذه السياسة بدلوها ، وان يسهم الاقتصاد الاسلامي في حل مشاكل العالم .

٣ - دور الاقتصاد الاسلامى فى رأى بعض العلماء الاجانب :

وقد أصبحنا نسمع أخيرا أصواتا أجنبية عالمية تدعو الى الأخذ بالمذهبية (الأيديولوجية) الإسلامية . وكان ذلك مجرد أن وضحت أمامها إحدى جوانبها سواء ناحية جمعها بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، أو عدم تضحياتها بالمصالح الخاصة أو المصالح العامة ومحاولة التوفيق بينها ، أو جمعها بين الثبات والتطور وجدليتها الخاصة .

ولا ندرى الى أى مدى تكون حماسة العالم المستنير للمذهبية الاقتصادية الإسلامية إذا اتضحت لها سياستها مكتملة ، وإذا قدمت لها حلولها التفصيلية وتطبيقاتها العملية .

فهذا هو الاشتراكي الانجليزى والفيلسوف العالمى برنارد شو ، يردد بعد دراسة دقيقة قوله « اننى أرى فى الاسلام دين أوربا فى أواخر القرن العشرين » ، ومن قبله يقول المفكر الالماني الكبير جوته « اذا كان هذا هو الاسلام أفلا نكون كلنا مسلمين » ..

وهذا هو استاذ الاقتصاد الفرنسى جاك أوسترى ينتهى فى مؤلفه الصادر سنة ١٩٦١ (الاسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) ، الى ان طريق الانماء الاقتصادى ليس محصورا فى الاقتصاديين المعروفين الرأسمالى والاشتراكي ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامى الذى يبدو فى نظره انه سيسود عالم المستقبل لأنه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوئ ..

وهذا هو المستشرق الفرنسى راييموند شارل يعلق سنة ١٩٦٩ على مسالتنا المقدمة باللغة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة عن (مشكلة خلف العالم الإسلامى) فيؤكد بدوره ان الاسلام يرسم طريقا متميزا للتقدم فهو فى مجال الإنتاج يمجّد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال ، وفى مجال التوزيع يقرر أن « لكل حد الكفاية » كحق الهى مقدس تكفله الدولة لكل فرد بغض النظر عن دينه أو جنسيته ثم « لكل تبعاً لعمله » فالحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) ..

ونلمس اليوم لدى بعض المستشرقين ، الحاحا فى ضرورة العودة الى الاسلام ، وإلى دراسة قواه الكامنة خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها ..

الإسلام

للدكتور/محمود زايد

هذه ترجمة للنص المعاصرة الثانية التي ألهاها الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الأميركية ببيروت أثناء زيارته للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

ان حاجات الإنسان المستجدة والظروف الجديدة التي تواجهه من حين الى الآخر تخلق له تحديات لا بد له من الاستجابة لها . والتحديات التي تواجه الإسلام في هذا القرن كثيرة ، وفي رأسها ضرورة تنقية تصور الناس للإسلام خارج البلدان الإسلامية والعربية وحتى في داخلها مما علق به من شوائب عمل المفرضون من مبشرين ومثقفين مزيفين ومسخرين ، ودعاة الاستعمار وقراصنته على ترسيخها في النفوس ، ومن سخرية القدر أن عددا من كتابنا ومفكرينا عملوا — بوعى منهم حيناً وبلا وعي حيناً آخر — على الترويج لها فتسربت الى فكرنا وثمراته مفهومات غريبة يتفاوت مدى خطرها بمقدار ما تتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه . ومن أخطر المفاهيم المستوردة التي تكمن وراءها فلسفة كاملة في الكون والإنسان والحياة وتتنافى مع مبادئ الإسلام وأسس مفهوم مقبول في ظاهره

فاسد المقاصد في باطنه ، وهو مفهوم « الفلسفة اللبرالية الانسانية » أو « الفلسفة التحريرية الانسانية » التي استهدفت فيها استهدافته فصل الكنيسة عن الدولة ، واتخاذ الانسان مصدرا وحيدا للقيم .

لا يكفي الرد على التحامل على الاسلام لتفتيق صورته في الخارج والداخل من الشوائب فلا بد أيضا من عرضه عرضا واضحا وبلغه يفهمها الصغير والكبير ، على ان يجرى التركيز على جوهر مبادئه وتعاليمه .

ينبغي التركيز أولا على الايمان بالله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتأكيد على ان في قولنا « الله أكبر » تحريرا للبشرية من كل استبداد وطفيان سياسي وفكري مهما كان لونهما ومصدرهما .

والاسلام ليس ديناً بالمعنى الأوروبي الضيق ، بل هو نهج شامل للاعتقاد والعمل والسلوك ، وأنه نظام واحد متكامل للحياتين الخاصة والعامة ، والعبرة الكبيرة لنا في تجربة الأوروبيين والأمريكيين الذين يعمنون أكثر ما يمانون من أزمة أساسها روحي وهي ازدواجية المبادئ الخلقية التي تنعكس في تعارض واقع العلاقات الدولية والمثل الأخلاقية للفرد .

والاسلام نظريتان متكاملتان في الكون وفي الانسان ، وجوهر مفهوم الاسلام للانسان أنه يولد على الفطرة ثم يقع تحت تأثير أسرته ومجتمعه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » أي أن الانسان ابن المجتمع ، فإذا صلح المجتمع ونظامه صلح الفرد ، والاسلام أكثر الديانات انسانية من حيث أنه يستهدف التيسير على الفرد ، ورفع الحرج عنه . وفي صلب الاسلام وتعاليمه طلب القوة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان : « المسلم القوى خير وأحب الى الله من المسلم الضعيف » ومصادر قوة المسلم هي : في العلم والتربية والتقوى وصدق المعاملة مع الناس ، والتعاطف مع الغير ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كما أنه لا بد من التأكيد على أن الاسلام في تاريخه الطويل قد واجه كل تحد بنجاح ، وأثبت أنه يساير الحياة ويضع اتجاهات المستقبل ، وفي الأحاديث النبوية الشريفة أكثر من حديث يرسم الطريق للعلماء ، مثل : « جهر البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء » ومثل : « ليأتين على الناس زمان يفيط فيه الرجل بحمة الحاذك كما يفيط اليوم أبو العشرة » .

وكم يتمنى المرء أن تدخل هذه الأحاديث الشريفة وغيرها في صلب الأناب الاسلامي الذي يعلم للناشئة .

وفي ميدان الشريعة تؤكد مبدأ التجديد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها » ، كما ينبغي تأكيد واجب الفقيه في أن يعمل دائما على النظر فيما يستجد من مشكلات وظروف ، وأن يفرغ جهده في سبيل استنباط الحلول استنادا الى مصادر الشرع ، واستنارة بمصالح المسلمين وتطلعاتهم الى المستقبل .

نضيف الى هذا أن النقص قد قاموا بدورهم بمقدار ما سمحت به ظروفهم

وأن من نسب التقصير اليهم ظلهم ظلما كبيرا ، لقد صانوا الشريعة في كل ظرف صعب ومحنة ، وبذلوا جهودا موفقة في سبيل استنباط الأحكام لمواجهة ظروف جديدة ، مشكلة أكثر من ينتقدونهم أنهم لا يعرفون شيئا أبعد كثيرا من كلمة « شريعة » .

اعتقد أن من واجب ولاية الأمور أن ينصفوهم ، وواجب خريجي الجامعات أن يسعوا اليهم ، ويتعاونوا معهم .

ومن التحديات الكبرى للإسلام حاجة المسلمين الماسة الى الوحدة او على الأقل الى الترابط الوثيق ، وأقرب سبيل الى هذا هو انشاء منظمة اسلامية مركزية لها فروع في كل قطر اسلامي وفي كل بلد فيه اقلية اسلامية كبيرة ، ولها دوائر للدين والاقتصاد والتاريخ والمجتمع على أن تتجنب التدخل في شئون البلدان الداخلية ، وذلك لكي تضمن تعاون الجميع وبالتالي الاستمرار .

ومن التحديات القضاء على الثنائية في التعليم والمحاكم والقوانين ، وثنائية التعليم لا تنتهي باضافة كلية دينية الى الجامعات ، وازافة كليات لهذا العلم أو ذاك في المعاهد الدينية ، إنما تكون بادماج الدراسات الدينية في صلب العملية التعليمية كلها ، وندعو المربين الى اعادة النظر في مناهجهم .

وهناك تحديات نابعة من المشكلات التي تعاني منها البلدان الاسلامية وعلى رأسها فلسطين ، ويمكن التحدي الكبير في ضرورة انتقاذ ثالث الحرمين وثاني القبلتين — أي القدس — من أيدي الغزاة .

لقد أثبت العرب في حرب تشرين أن بإمكانهم لا انتقاذها فحسب وإنما هزيمة اسرائيل هزيمة ساحقة ، ولكن شرف الانتقاذ يجب أن يشارك فيه كل مسلم لكي يضرب مثلا للجيل الحاضر والأجيال القادمة على أن المسلمين كأعضاء الجسم اذا اشتكى بعضه تألم له الباقون وهبوا لنجدة ، وانتقاذ القدس سيكون بمثابة اعادة الروح الى العالم الاسلامي وسيعيد الثقة بالنفس السى كل مسلم .

لكن مع هذا ينبغي أن نغير مشكلات الاقلية الأخرى كمسلمي الفلبين ومسلمي كشمير وأريتريا وغرب أفريقيا ما تستحقه من اهتمام ، ولعل مشكلات مسلمي غرب أفريقيا أكثر الحاجا من الأخرى .

وهناك التحدي الناشئ عن تدفق المال والحاجة لصرنه في عملية البناء فتوافر المال ينطوي على تحد كبير لمن تتوفر فيه الحكمة وينشد البناء ، والحكمة تقضى بأن نستثمر المال في بلادنا أي في العالمين العربي والاسلامي مهما كانت عوائده ، لا أن نظل تحت رحمة تقلبات الدولار والاسترليني ، وليس لأحد أن يبلى علينا كيفية صرفه أو التعاون معنا في صرفه إذ لم نسمع بأحد من قبل سعى إلينا يطلب تعاوننا معه في صرف ماله ، والمال ليس عندنا وحدنا .

ومجال صرفه الأول في بلادنا هو في التعليم والزراعة والتصنيع ، فالجزء الأكبر من بلادنا لا يزال صحراء أو كالصحراء ، ولا بد لنا من أن نعتبر بما حدث للأمم التي تدفق عليها المال فصرفته في وجوه كثيرة دون النظر السى المستقبل .

وأخيرا يمكن وصف ما يجري في الفكر الاسلامي المعاصر بأنه يمارس عملية تجديد ونأمل ألا ينسلخ هذا القرن قبل أن يظهر مجدد يجدد للأمة دينها وحياتها .

هل نفيت تعدد الزوجات وتشريع الطلاق؟

للدكتور : نور الدين عفر

مركب النقص آفة تصيب العاقل فتقلق تصرفاته وتضل سلوكه .
وحسبان العجز امام المظاهر البراقة ، يضع قوى الانسان ويفشل
مساعيه فى بنیان نفسه وتخطى المقبات التى تواجهه .

ولا سلاح للأمة مثل سلاح الثقة بالنفس فان أمتنا تتمتع بكنوز حضارية
تشريعية وأخلاقية لا تعرف مثلها أمة من الأمم ، سيما وأن المسلمين والعرب
خاصة يواجهون التحدى الأجنبى ويخوضون المعارك ضد الاعتداء ، وذلك يزيد
من فريضة الاعتصام بالشخصية الإسلامية ويؤكد ضرورته ، كى تحافظ الأمة
على كيائها وتستمد من خصائصها الذاتية قوة لا تطلب .

ونظام الأسرة أخص الأنظمة بشخصية الأمة وأكثرها التصاقا بذاتيتها ،
يربطها بأصولها الاعتقادية وعاداتها وأخلاقها ، ويمس تركيبها ، لذلك كان
مساس هذا النظام بأى تعديل أو تحوير أو اقتباس من الأمم الأجنبية أمرا خطيرا
جدا لا بد أن يؤدي الى انتكاسات اجتماعية ومفاسد لا تعرف لها نهاية .

● من نخلص من مركب النقص في مواجها

المدنيّة الأجنبيّة ؟

● إلى متى نقلد الأوروبيين في أمور كدواغنها

؟

لكننا للأسف نجد طائفة من أبناء مجتمعنا من عرب ومسلمين يولون عقولهم وأفكارهم شطر الأمم الأجنبية يستمدون من نظمها في شؤون الأسرة أصولا يودون تطبيقها في بلادهم دون أن يفكروا في الامادة من رصيد أمتهم الضخم في هذا الجانب الحضاري الهام ، على حين أن أي مفكر لا يقبل باستيراد سلعة أجنبية أيا كانت جهتها إذا كان في وطنه ما تسد مكان تلك السلعة فكيف بما هو أهم وأعظم وهو مادة صناعة الشخصية للأمة أعني الانظمة والقوانين والأفكار .. ؟ !!

ولعل الكثيرين يفضلون عن اثر الدعاية الخطير في هذه المسألة ، تلك الدعاية التي تسبغ قالب التطور أو التقدم على هذا الاقتباس ، أو على هذه المتابعة غير الواعية لسابقة وقعت في دولة عربية أو اسلامية لم يتعظ بنتائجها التي ربما يتكتم عليها أرباب تلك التجربة كي لا يظهر خطؤهم وكى لا ... !! وهكذا لا تكاد تهدأ محاولة لتعديل قانون الأحوال الشخصية الاسلامي في بلد حتى تقوم محاولة في بلد آخر ، ثم تعود محاولة أسوأ في البلد الأول .. الخ .

وإزاء ذلك فاننا ندعو كل منصف من هؤلاء متحرر حقا من الخضوع لأي مؤثر غريب عن هذه الأمة لا يرغب الا في الخضوع للحق أن يتمن معنا

خطوطا أساسية لأمرين أساسيين نجعلهما مدار النظر في هذا المقام هما :
تعدد الزوجات وتقييد الطلاق . يكرنان مثالا لما يراد تعديله من هذا القانون
والخروج به عن مقررات الفقه الاسلامي

تعدد الزوجات

إن الله جلت حكمته إذ شرع تعدد الزوجات أحكم ترعته بما يزيح عنه
كل نقد وعيب . وإن الشريعة لم تجعل نظام النعود فرضا لازما على الرجل ،
ولا أوجبت على المرأة أو أهلها أن يقبلوا الزواج من رجل ذي زوجة ، نطولا أن
المرأة وأهلها يرون في هذا الزواج منفعة ومصلحة محققة ، لما أفدهوا عليه ،
ولما تطلوا به اطلاقا فأين هو الضرر المزعوم بالمرأة . وهل يتصور عاقل في
انتقال المرأة من العزوبة وشقائها واحتمالات الانزلاقات الى خصانة الزوجية
ضررا أو تراجعا ! .

ثم إن الشريعة أوجبت على الرجل أن ينفق على جميع زوجاته ، ويعاملهن
بالمساواة العادلة السوية . والمعاملة السنية الاسلامية ويتعدد النفر على
الله عليه وسلم من أجل بهذا فيقول : « إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعمل
بينهما جاء يوم القيامة وشده سافط » (١) .

وذلك لا شك يشتر كل أسراف بمكاتبه لا تحسن أن غيرها يستلها عند
الزوج . وإن فرضنا تحقق الضرر وهو سببه جسد إذا روعيت شروط
التعدد فمن حق الزوجة المنضرة أن ترضى أمرا للقضاء تطلب الطلاق
وفقا لما ذهب اليه المالكية وعلمت به قرآنيين الأهرال الشخصية من سرية .
ناله سبحانه ونعالى أوجب على الرجل أن يراعى العدالة والإنصاف في
سلوكه . وحرم عليه التعدد إذا خاف الميل لأحد الجوانب وظلم الجانب الآخر
في مباشرة أو حياطة أو مال . وهذا من الذي يسوغ له التعدد هو دفع
الرجل الحاضر . انحرى الإرادة الذي يسع الى جانب مزايده الشخصية
بخلق رفيع ومراعية لاه عز وجل لا شك أن مثله إذا قد ربح . وحزم أمره
على أداء ما رغب عليه يستقيم به أمر الأسرة ويحل الولائم والانساق بين
الزوجات وبين الزائد كما أن انفسه أمرا ربح للمجتمع إذ يزرع أمانة بأفقه
يرتفع عن المصالح المادية كما نشاهد ذلك الآن في بيوتات عريضة

التي لا يزوج الثانية أو الثالثة بما لزوجات من أن يقوم فيه الشرا .
إن مجرد ارماع زوجة الأولى فهذا زواجه محرم شرعا . وليست الشريعة
مستزلة عن بيمات مخالفت وانحرافه . لكن المقتضى مسرول إذ لا يتم
الرجوع بالمرء بالمرء والنهي من التكرار .

أما توهم أن تعدد الزوجات يزدهر الى كثرة النسل وهذه تسبب الفاقة
والفساد ، فإننا نجب من هؤلاء إذ يرتفعون من كثرة النسل إلى كثرة النسل
غير وثقة المجتمع . ونحييا واجبه إبداءهم الفلاحية بكثرة النسل .
وإن الدور عام مفردة قد تستمر بعدا طويلا ما نالت مصادر الكيان الحضاري

قائمة في هذا الوجود ، تمده بأسباب القوة وتشجعه على العدوان فكيف يتصور من ذي حكمة أن يوقف كثرة النسل ، أمام هذه الاخطار المحدقة ! ثم إن كل داع لمنع التمدد يدعو لخروج المرأة الى العمل ، فإين هي الفاقة التي تؤدي للتشرد إذا كانت المرأة بزعمهم الفاسد ستمل لا محالة !! لا إن كل الدلائل في واقع الحياة تشير الى جانب تشريع تعدد الزوجات تدعمه وتشد من أزره ، والحقيقة أن البلاد التي تمادي هذا النظام وتشنع عليه ، لم تخرج عنه ولم تخالفه ، بل إن كل أوربا وأمريكا تشير على نظام تعدد النساء العملى والواقعى ، وإن لم تقره شرعة القانون وهو نظام أقيح وأشد سوءا من كل ما يزعمونه كذبا وافتراء من مساوىء تعدد الزوجات إذ أن نظامهم هو الشر والفساد والتفسخ الا وهو إباحة الزنى ، واتخاذ الأخدان والخيليات .

لقد حرموا تعدد الزوجات ، ثم أرغموا أمام الضرورات الواقعية وعملوا بتعدد النساء غير الشرعيات . فاهانوا المرأة . وداسوا كرامتها . ومرغوا عزتها وشرفها ، ثم أذلوها حيث ساققتها الضرورة والحرمان الى المصنع لتكسب قوتها وقوت أولاد الأوغاد الذين خدعوها ومكروا بها . إن الواقع البشرى في كل اقطار العالم المتحضر يقرر أن تعدد الزوجات امر ضرورى لا مناص منه للانسانية . وذلك لأن عقارب الساعة في هذا الواقع تشير الى ضرورات عديدة تحتم التمدد :

١ — فهناك ضرورة تفرضها قوانين الطبيعة في الحياة والموت إذ تقرر في علم احصاء السكان أن الذكور الصغار أكثر تعرضا للموت من الاناث ، وهذا يؤدي إلى أن يكون الشبان أقل عددا من الفتيات بالرغم من أن نسبة مواليد الذكور قد تكون أكثر من الاناث (٢) .

٢ — وهناك الضرورة التي يحتمها نظام الحياة الاجتماعية . فان هذا النظام يفرض على الرجال الأعباء الثقيل في الحرب والأشغال المشاقة في المصانع الضخمة وغيرها مما يجعلهم أكثر عرضة للموت من النساء حتى بلغ عدد الأيامي من النساء في أوربا ما يزيد على ٢٥ / مليون امرأة بعد الحرب العالمية الثانية . وإن وجد في بعض البيئات الضيقة زيادة عدد الرجال على النساء فان هذا لا يسوغ العدول عن تشريع التمدد إلا اذا كان ثمة من يريد إلغاء صلتة القومية أو الاعتقادية بأمة الكبرى التي ينتمى إليها ، وهو عمل خطير يدل على طبيعة هذا النوع من الناس . . !! على أن هذه الزيادة ظرف طارئ غير طبيعى . كما أن خلل الاحصاء يلعب دورا كبيرا في إبرازها حيث تكون عادة أهل البيئة كتمان تسجيل نسائهم وبناتهم ولن يلبث تيار النظام الطبيعى أن يغير هذا الوضع المدعى .

٣ — وهناك أخيرا الضرورات الفردية التي تطرأ كثيرا لمريد الزوجة الواحدة إذ يفتاج بالليس في حسبانته حيث يجد زوجته عقيبا أو تصاب بمرض يمنمها من تحقيق غرض الزواج أو غير ذلك من الضرورات ، فهل نلزم الرجل بطلاق زوجته ، وإن كان يحبها ويريد الوفاء لها ، أم نرفع عنه الضيق ونحتة على ذلك الوفاء فنسمح له بالتمدد ؟ ! .

إن كثيرا من الزوجات يسمين لأزواجهن بالزواج الثانى ويخطبن لهم ، طيبة بذلك نفوسهن لأن هذا هو الذى يجيب به المنطق الصحيح ، ويقبله العقل الصريح .

واننا نطن إزاء ذلك ان التعدد بشروطه المقررة شرعا مباح لا يملك احد تغيير حكمه الشرعى ، وان أى تقييد قانونى للتعدد لا يشكل تحريما شرعيا يلقى ما شرعه الله . كما أننا نحذر من أى تقييد للزواج أو لتعدد الزوجات سيقلبه فى المجتمع انتشار الزنى والفواحش على قدر ذلك التقييد . والا فأن ستذهب تلك الاعداد الزائدة من النساء التى دلت الاحصاءات على وجودها ، خصوصا وان الاثارة الجنسية بتطايير شررها ويستفحل ضررها فى كافة المجالات . وها هى ذى أوربا نفسها تشكو آثار الزواج الواحد وأضراره الخطيرة . بل ان بعض البلاد الاسلامية لوت حكومتها المستبدة وجهها عن الاسلام وأصدرت قانونا مدنيا مخمت بموجبه تعدد الزوجات ، ولم تمض عليه ثماني سنوات حتى هال أولياء الأمر فيها عدد الولادات السرية وعدد وفيات الاطفال المكمومة و !!

الحاجة إلى تشجيع الزواج

وقد أجمعت آراء الباحثين الاجتماعيين من الشرق والغرب على أن أكبر خطر يهدد المجتمعات هو تلك العزوبة المزمنة فى الرجال وفى النساء مما يهدد بالوقوع فى مهاوى الفواحش والرذائل . وإن هذا الخطر قد أخذت بوادره فى مجتمعنا تظهر بوضوح لكل ذى عينين ، فما أكثر ما ترى اليوم من الأسر التى حرم بعض بناتها من الزواج ، وما أكثر ما ترى من شباب موسر مترف يعرض عن الزواج . وما أحسن ما اقترحه إزاء ذلك العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق — رحمه الله . حيث قال يرد على مشروع مصرى لتقييد التعدد بالقدرة على النفقة فقال ما نصه :

« إن مثل هذه الحالة جذير بأن يدفع الأمة الى التدهور الأخلاقى . الذى شكاه منه الغربيون لأنفسهم ، وجربته دولة شرقية اسلامية ، وهو مما يوجب على عقلاء الأمة — اتقاء للانتكاس الخلقى — أن لا يفكروا لا فى منع التعدد أو تقييده ، وإنما فى وضع حد أعلى للعزوبة بالنسبة لأصل الزواج ، ووضع تشريع عكسى فى تعدد الزوجات . أقل درجاته مساعدة الذين يتزوجون بأكثر من واحدة مساعدة تحفز غيرهم إلى السير فى طريقهم ، وتساعدهم على الاتفاق على زوجاتهم وعلى أولادهم .

ولا ريب أن التشريع الذى يراد لتقييد تعدد الزوجات هو فى الواقع بملاحظة ما تقدم أكبر معين للناس فى التخلص من العلاقات الشريفة ذات الآثار الطيبة فى الاخلاق والاجتماع ، أكتفاء بما يقع فى أيديهم من أعراض لم تجد من يقار عليها أو يعمل على صيانتها .

خطا آخر :

بقى أن المشروع قد اتخذ أصحابه الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد والاتفاق على من يجب على الشخص نفقته أساسا لتقييد التعدد . ومعناه أنهم يبيحون للفنى أن يعدد كما يشاء ، وليس للفقير أن يتزوج أخرى . ولو كان يصح اتخاذ الفنى والفقر أساسا لإباحة التعدد ومنعه لكان الواجب عكس القضية بأن يباح للفقير ويمنع عن الفنى ! ، فإن الفقراء يطمنون بعضهم إلى بعض ويتعاونون فى تحصيل رزقهم ، فيسمى الرجل بقدر استطاعته وتسمى كل زوجة بقدر استطاعتها ، وليس عنده ما يمكن أن يحابى به إحدى الزوجات على الأخرى ..

أما التباغض الذى يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين أولادهن فمنشؤه غير طبعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم تمنع من التعدد ، لما فى تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة .

كما وجدت أساليب الكيد فى أعلى أولاد الضرائر « يوسف وإخوته » ومثل هذا الشأن الطبيعى لا يمكن وقف التشريع لأجله ، لفوائد العظيمة المترتبة على التشريع (يعنى تشريع التعدد) والله الذى يعلم أن الغيرة أمر طبيعى فى نفوس الزوجات شرع تعدد الزوجات فى قديم الزمن وحديثه ، ولم تر الحكمة الإلهية أن وقوع الكيد فيما بينهن ، وفيما بين أولادهن مانع من إقرار التعدد ، فدل ذلك على أن مقاصد التعدد فى نظر الشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعية .

على أن هذا التباغض الذى يقع بين الزوجات يرى مثله كثيرا بين الزوجة وأحمائها ، ومثل ذلك عفو فى نظر التشريع ، لأنه وإن كان شرا إلا أنه شر قليل ، لا يترك لأجله الخير الكثير » انتهى .

والذى يثير الدهشة ولا ينقضى منه العجب ما يلحظه المطلع على القانون من التناقض العجيب حيث يقيد الزواج بأنواع القيود ، ويرسل الزنا مباحا لا شبهة فيه ، فهذا الشاب إذا أراد الزواج قبل خدمة التجنيد توضع أمامه العقوبات ، ويطالب بالكفالات والتعهدات فإذا فجر وزنى فلا تثريب عليه .

والرجل إذا تزوج بفتاة تصفره كثيرا أنحى عليه القانون اللوم والعقاب ، فإذا فجر بها ربت على كتفه !!

والزوج إذا تزوج على زوجته قامت قبيلة القانون (أو هكذا يراد له) فإذا خان زوجه هدأت النائرة وسكنت الفضبة .. !!

لقد بلغنا حد التضارب الفاضح بسبب التقليد ومحاكاة الأجانب ، على حين أن عقلاء الأجانب يزكون نظام التعدد وينادون به ، سواء فى ذلك رجالهم أو نساؤهم .

فى انكلترا كتبت الكثيرات من النساء الانكليزيات فى الصحف السيارة وغيرها المقالات الطوال يدعون فيها للأخذ بنظام التعدد الاسلامى ، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به .

فقد ذكر الاستاذ الخطيب المكي فى تفسيره المشهور : « إن وكالة

روينر نقلت منذ سنوات قليلة خبرا من لندن يقول : إن أربعة من كبار القسيس بزعامة اسقف كانتربري — وهو من أكبر رجال الكنيسة البروتستانتية — قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين فى لندن وأصدروا قرارا دافع عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا بإباحته للمسيحيين من أجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن . وفى ألمانيا يصرح الاستاذ فون اهرمسلس « بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية » . وفى فرنسا وغيرها يصرح الكثيرون من الفلاسفة والمصلحين بهذا مما لا يتسع المقام لسرده والاطالة به . وحسبنا من اقاويلهم هذه كلمة للفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون شرح فيها المسألة وفند مزاعم بنى قومه التى يتشدد بها بعض ابنائنا . قال لوبون فى كتابه : « حضارة العرب » (٣) .

« ولا نذكر نظاما أنهى الأوروبيون عليه باللائمة كبدا تعدد الزوجات كما أننا لا نذكر نظاما اخطأ الأوروبيون فى ادراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخى أوربة اتزاناً أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية فى الاسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين . . ذلك وصف مخالف للحق وأرجو أن يثبت عند القارئ الذى يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانباً أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقى فى الأمم التى تقول به ، ويزيد الاسرة ارتباطاً ويمنع المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما فى أوربا . . ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوروبيين مع أننى ابصر بالعكس ما يجعله أسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ، ونظرهم الى هذا الاحتجاج شزراً . . »

ويقول لوبون فى موضع آخر : « إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من أفضل الأنظمة وأوفأها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتمتصم به وأوثقها للأسرة ، وأشدّها لأصرته أزراً ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة اسعد حالاً وأوجه شأنها وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية » (٤) .

(فاعتبروا يا أولى الألباب) .

تشريع الطلاق

وتشريع الطلاق أصبح مثلاً معروفاً لهزيمة النظام الأوربي ، بعد أن ظل الأوروبيون قروناً طوالاً يشنون الفارة على الاسلام بسبب تشريع الطلاق فيه .

لكن أوروبا وأمريكا لم تأخذاً من نظام الاسلام حكمته فى محاولات الإصلاح ورأب الصدع ، وجمع شمل الأسرة ، ولا التفقوا إلى ما يترتب على الطلاق من مسؤوليات ونتائج فرضها الشارع الحكيم سيما فى إلزام الزوج بالنفقة للعدة وحضانة الأولاد مما يعيق التسرع للطلاق ويضع له سهام الأمان .

غاية ما فعله القوم ان جعلوا امر ايقاع الطلاق بيد القاضى يترافع اليه طالب الطلاق لينظر فى طلبه . ويصدر الحكم فى شأنه قبولاً أو رداً .
وها هنا تبدو محنة مجتمعنا ، إذ نجد جماعة من ابنائنا تنادى بتقييد الطلاق بأن يجعل محصوراً باذن القاضى ، أو بأن تفرض غرامة على الزوج اذا لم يطلق باذن القاضى كالطلاق البدعى أو بدعى الاضرار بالزوجة وهذا الموضوع اعنى تقيد ايقاع الطلاق بقضاء القاضى ومثله كل احتراز من شأنه ارجاع الطلاق للقاضى قد تناولناه فى بحث ناقشته لجنة من كبار علماء اساتذة الأزهر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت . رحمه الله واثبتنا بما اقنع المتشككين بطلان هذا التقييد وفساده وأن الضرر كامن فيه ونلخص هنا للقارىء توجيه ذلك من نواح .

١ — إن الاسلام قد علم ايماءه وجوب الحفاظ على رابطة الاسرة والتمسك بها واتبع اساليب متعددة من النواحى التوجيهية والنواحى التطبيقية لترسيخ هذا المعنى :

فى نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .
والحديث النبوى : « لا يفرك (٥) مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » أخرجه مسلم .

وفى نطاق التطبيق المبنى يخول الرجل الحق فى بعض التدابير للإصلاح بمقتضى قوامته التى شرعها الله فاذا لم تجد تمعاً فان الخطاب الالهى يأمر بالتحكيم فى قوله تعالى :

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريداً اصلاحاً يوفى الله بينهما) .
فان فشلت كل وسائل الإصلاح جاء دور الطلاق .

ولا يخفى ان فى هذه المراحل من العلاج ما يكفى لتدارك الأمر إن كان للتدارك مجال أو مكان ، فإى معنى لتقييد الطلاق باذن القاضى ، أو لفرض غرامة على الزوج لاى عذر كان .

٢ — إن الشريعة قد اناطت ايقاع الطلاق بالزوج ، فاذا طلق الرجل زوجته وقع الطلاق واحتسب عليه باجماع العلماء السابقين واللاحقين وبصريح نصوص القرآن والسنة .

أما القرآن ففى مثل قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف » (٦) وقوله تعالى : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٧) وقوله فى الطلقة الثالثة : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » (٨) .

فكل آيات القرآن تحتسب الطلاق وتوقعه بمجرد صدوره عن الزوج ، دون أن يتقيد باذن القاضى أو موافقته .

وأما الأحاديث فأكثرت من أن تحصر ، ومنها الحديث المروي في الصحيحين وغيرهما بأسانيد كثيرة منها ما هو من أصح الأسانيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « طلقتم امرأتى وهى حائض وأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعهما ، فإذا طهرت فإن شاء فليطلقها » .

قال : فقلت لابن عمر : « فاحتسبت بها » . قال ما بينه ، أرايت أن عجز واستحى « (٩) فطلاق ابن عمر الأول واضح أنه لم يكن باذن النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لما كان مخالفا للسنة ومع ذلك فقد وقع واحتسب عليه ، وكذلك الطلاق الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم له الحق في إيقاعه لم يقيده بأن يرجع فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن يستأنه كي يقع عليه ويصح منه ، وإنما جعله حقا له يتصرف فيه بمشيئته واختياره ، فليس لأحد أن يطالبه بأي غرم لأي سبب كان من دعوى ضرر أو غيره ، فالزام الزوج بتمويض زيادة على النفقات التي أوجبها الشارع أكل للمال بالباطل . ٣ - إن الشريعة قد أوجبت على الرجل نفقات مالية بسبب إيقاعه للطلاق ، وهذه النفقة في الواقع تشمل على معنى التمويض عن الضرر الذي يقترحه من يريد تبديل الحكم الشرعي ، ولذلك فإننا نجد تناسبا مع العروة الزوجية المنفصلة ضعفا أو قوة ، كلما كانت العروة المنصومة أقوى كان الغرم أكبر فمن طلق قبل الدخول يجب عليه نصف المهر كما نص القرآن (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (١٠) .

وإن طلقها بعد الدخول أو الخلوة الصحيحة يجب عليه المهر كاملا . « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن نقارا فلا تأخذوا منه شيئا ، تأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء الآية ٢٠ و ٢١) . وعليه أيضا أن ينفق على مطلقاته ويسكنها مدة غدتها منه على ما ذهب إليه الحنفية وغيرهم وأقره قانون الأحوال الشخصية .

وإن طلقها بعد الدخول وقد ولد له منها ولد أو أولاد فعليه زيادة على ما سبق نفقة الحضانة للأطفال ، وكثيرا ما تستغرق سنين تحتاج لأموال كثيرة مما يجعل هذه المسؤوليات حجر عثرة أمام إيقاع الرجل للطلاق ، تصده أكثر ما يصده التقيد باذن القاضي أو بغير ذلك من القيود . ثم إن هذا كله يشمرنا بأن الشريعة قد افترضت الزوج مسئولا عن الطلاق وحملته تلك الآثار والمسؤوليات المالية (١١) ، فما حاجتنا بعدئذ إلى أن نقول : إنه يحق للطرف المتضرر بالطلاق أن يطالب بتمويض إلا أن يكون غلوا يمتد قضايا الأسرة ، ويجعل كل واحد من الزوجين يقذف الآخر بالتهمة الصحيحة أو الباطلة بسبب هذا التمويض الزائد على ما شرعه الله ، وسيعود الضرر الأكبر في ذلك على المرأة لأن أي كلام من الرجل في حقها يجرحها جرحا بليفا ويقضي على مستقبلها فضلا عما سيؤدي إليه التقاذف بالتهمة من أضرار عداوات لا تتطفئ بين العائلات .

٤ - إن التجارب المشاهدة أثبتت أنه لا يمكن لقوة أن تقف أمام طلاق

الزوجين الفاشلين ، وحسبنا دليلا على ذلك الدول التي أباح قانونها الطلاق ، فمع أن ديانة المسيحيين جميعهم تتجه الى تحريم الطلاق ، وانهم لما أباحوا الطلاق قيدوا وقوعه بحكم القاضي ، بالرغم من هذا كله بلغت نسبة الطلاق في أمريكا ٤٨ ٪ أي أن كل مائة زواج ينتهي منها ثمانية وأربعون بالطلاق والفراق كما دلت الإحصاءات .

وفي ألمانيا الغربية بلغت نسبة الطلاق فيمن دون سن الخامسة والعشرين ٣٥ ٪ خميسا وثلاثين بالمائة وهذا معناه أن القوم أدركوا أن حميم الأسرة الفاشلة لا يقف أمام لهيبها أي عائق لذلك تساهل القضاة في إيقاع الطلاق بمجرد تقديم الطلب ، أو لآتفه الأسباب ، حتى أصبح الناس ينسمعون عنهم أنباء تثير السخرية والضحك !!

بينما تجد الإحصاءات في بلادنا التي يبيع دينها الطلاق ولا تقيد به باذن القاضي ولا بأي قيد تقل عما ذكرنا من الطلاق في تلك البلاد بمقدار كبير جدا ، كما تنبئك به هذه الأرقام الرسمية ، للإحصاءات للقطر السوري كله ، نقدمها اليك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٥٠	القطر السوري	٢٤٨٧٦	٢٤٠٩	٩٦ ٪
١٩٥١	القطر السوري	٢٠٦٤٤	٢٣٣٧	١١ ٪
١٩٥٢	القطر السوري	٢٢٥٤٧	٢٤٧٥	١٠٩ ٪
١٩٦٣	القطر السوري	٣٠٣٦٣	٣١٩٨	١٠٥٣ ٪
١٩٦٤	القطر السوري	٣٤٧٧٦	٣٢٧٣	٩٤١ ٪
١٩٦٥	القطر السوري	٣٤٦١٩	٣١٩٧	٩٢ ٪

هذه الأرقام تكشف عن بون شاسع بين عدد حوادث الطلاق التي تقع في بلادنا ، وبين عددها في بلاد النصرانية التي يحرم دينها الطلاق وتأخذ بقانون مدني يعتبر إيقاع التطلق بحكم القاضي ، حيث تبلغ النسبة عندهم أضعافها في بلادنا . هذا مع احاطة القارئ علما بأنه أدخلت في سنة ١٩٥٣ تعديلات على قانون الأحوال الشخصية أخذت من بعض المذاهب غير المصوب بها ، ومن أقوال غير معتمدة لدى الفقهاء لكنها لم تثمر أي فائدة إلا لمدة يسيرة جدا ثم عادت لمجراها الأصلية .

على أنه لا بد من القاء النظر على نسبة الطلاق بحسب البيئات المتعددة لما له من فائدة هامة في الموضوع وذلك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٦١	مدينة دمشق	٥٦٢٧	١.٩٧	١٩ر٤٩٪
١٩٦٥	مدينة دمشق	٦١٢٥	١.٩٥	١٧ر٨٧٪
١٩٦٦	مدينة دمشق	٥٩٤٦	١١٨٢	١٩ر٨٧٪
١٩٦١	مدينة حلب	٣٤٦٠	٥.٢	١٤ر٥٠٪
١٩٦٥	مدينة حلب	٤.٢٣	٥٢٤	١٣٪
١٩٦٦	مدينة حلب	٣٩٩١	٥١٧	١٢ر٩٥٪
١٩٦١	مركز محافظة حماة	١٢٥٤	١٣٣	٦ ر ٩٪
١٩٦٥	مركز محافظة حماة	٢١٤٥	١٤٩	٦ ر ٩٪
١٩٦٦	مركز محافظة حماة	١٨٧٠	١.٨	٧ ر ٧٧٪

إن هذه الإحصاءات توضح لنا بجلاء أثر البيئة في وقوع الطلاق فالبيئة التي هي أكثر تعرضاً لتيارات الفزو اللاأخلاقي والتي تشجع فيها التقاليد الأجنبية أكثر تضعف فيها روابط الأسرة ، وتكون أكثر تعرضاً للانفكاك والضياع كما هو الحال في مدينة دمشق ، والبيئة التي يقل فيها ذلك التمرض للمفاسد الخلقية ، والمبازل ، تكون الأسرة فيها أشد تماسكا وأقوى عروة ، كما هو ملاحظ في مدينة حماة ثم حلب .

وحسبنا من العبرة في ذلك تلك التطورات التشريعية التي حدثت أخيراً في أعنى دولة متعصبة ضد تشريع الطلاق ، ألا وهي إيطاليا فقد أقر البرلمان الإيطالي منذ ثلاث سنوات فقط قانوناً بإباحة الطلاق ، ورقص احتفاء به جمهور الناس هناك ، لكي تواجه المحاكم الإيطالية العدد الضخم من قضايا الطلاق ، والذي يبلغ مليون قضية أو يزيد ، ولم يمتنع القوم عن تشريع الطلاق خوفاً من كثرة وقائعه ، علماً بأنهم لم يضعوا من الضمانات للمرأة مثلاً فرضت لها الشريعة الإسلامية . وإذا كانوا قد وضعوا بعض القيود في إيقاع الطلاق فلا ريب أنها لن تلبث أن تنقلب إلى مجرد شكليات لا أثر لها بتاتا ، كما انقلبت إليه حال القيود في الدول الأخرى .

وهذا يدل دلالة قاطع على أن العالم أيقن — في حين يتشكك أناس هنا — أن وضع القيود المصطنعة أمام وقوع الطلاق ليس تصرفاً مثمراً ولا علاجاً شافياً . وأيقن أن كثرة الطلاق لا يجوز أن تدعو إلى عرقلة وقوعه ومنع ممارسته ، بل نجدهم على العكس جملوا كثرة الطلب على الطلاق سبباً لإباحته وتشريعه والتوسع في إيقاعه .

وهذا يثبت لكل ذي سمع متعقل ، وبصر متأمل أن للحفاظ على الأسرة أسباباً أخرى وراء التقييد بالقضاء ، وأن عوامل انهيارها أقوى من كل سد يصطنع أمام الطلاق ما لم تعالج تلك العوامل المخربة ، وتقتلع جذورها من الأساس .

ومن هنا فاتنا نقول بيقظة كاملة : إن محاولة تقييد الطلاق بأي لون من التقييد رجعية موهلة في الجمود ، والمتقهقر إلى الخلف .
ونبين أيضاً أن الشريعة حكمت بوقوع الطلاق متى أوقعه الزوج ، فتقييده

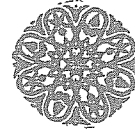
بالتقاضى لا يغير حكم الشرع ولا يلغى الحرمة التى يثبتها الطلاق ، لكن هذا التقييد يؤدى الى مفسدة عظيمة جدا هى الزام الرجل والمرأة بمعاشرة فاسقة يجرمها الله .

وهكذا نجد البحث العلمى الصحيح يأبى كل تعديل يراد اقتباسه من الأوروبيين ، سواء نظرنا الى النظام الإسلامى من حيث طبيعته وصلته بمقومات امتنا وسلامة الأسرة فيها . أو من حيث نتائج التعديل فى البلاد العربية أو الإسلامية التى خاضت غمار تجربته واثبتت الاحصائيات فشلها . كما أننا نجد الاتجاه العالمى أخذ يقتبس أخيراً من نظامنا الإسلامى حيث مهد لتعدد الزوجات كحل ضرورى لتزايد عدد النساء وكواجب يحتمه انقاذ المرأة من مهانة السفاح ويحتمه انقاذ النسل من الفوضى وسوء التربية ، وحيث أخذت الانظمة الأوروبية بتشريع الطلاق ثم جعلت بصمة القاضى عليه أمراً شكلياً محضاً لا ينتظر الا تقديم الطلب .

والواقع أن ليس عندنا مشكلة تشريعية ، إنما نحن بحاجة ماسة الى حسن الوعى والتطبيق لشرعنا الإسلامى الأغر كما أننا بأمس الحاجة الى أن نفنض عنا غبار الشعور بالعجز ونتخلص من مركب النقص فى مواجهة المدنية الأجنبية لنقدم للعالم مدنية اسلامية صافية ، وحضارة مؤمنة تجمع بين الدين والعلم والتقدم ، تنقذ العالم من وهدته وتنير له الطريق .

- (١) أخرجه أصحاب السنن ورجاله ثقات .
- (٢) وقال الدكتور عبد السلام العجيلى فى مقابلة اذاعية : « ان المرأة أكثر وجوداً على الارض من الرجل ، والاحصاءات المواليد فى العالم تثبت أن مواليد الإناث أكثر من الذكور »
- (٣) ص ٤٨٢ — ٤٨٤ .
- (٤) يرجع للفوسع الى تفسير المنار ، وكتاب نداء للجنس اللطيف لمحمد رشيد رضا ، وكتاب الاسلام عقيدة وشرعية للشيخ محمود شلتوت ، وكتاب بيت الطاعة وتعدد الزوجات للدكتور على عبد الواحد وافي ، وكتاب الاسلام والاسرة للاستاذ مموض عوض ابراهيم من علماء الازهر .
- (٥) أى يفيض بفضا يؤدى للفراق .
- (٦) البقرة الآية — ٢٢١ — .
- (٧) البقرة الآية — ٢٢٧ — .
- (٨) البقرة الآية — ٢٢٠ — .
- (٩) البخارى ج ٧ ص ٥٩ (باب مراجعة الحائض) وانظر الحديث وطرقه فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٣ .
- (١٠) البقرة الآية — ٢٢٧ — .
- (١١) لهذا درج العوام على التعبير بهذا اللفظ « خرب بيته » فى حق من طلق زوجته . وخربت هذه الكلمة مثلاً للنكبات الضخمة .

مكانة المرأة في الإسلام



للأستاذ : محمد عبد المنعم الخاقي

من وظيفته ولو الى حين ، ولكن انى له ان يؤديها تامة وبصفة مستمرة كما لو انتظم مع كل الأجزاء الاصلية . فللمرء اذن ان يخرج عن دائرة الاسلام ليصبح له حق الاعتراض بما شاء ويطالب بالحجة العقلية ومن حقه ان يجاب الى طلبه ، او ان يختار الاسلام فيذعن لكل ما جاء به ولا يتوقف امثاله له علي الاقتناع العقلي بكل جزئية على حدة ، وليس له ان يعتبر نفسه مسلما ثم يفسح لنفسه المجال للاعتراض على حكم من احكام الاسلام : « فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء : ٦٥) . نعم له ان يبحث ويجد في البحث عن هذا الحكم بعينه هل امر به الاسلام ؟ ام لم يأمر ؟ اما بعد ثبوت الأمر به فليس أمامه الا الاذعان .

يجدر بنا قبل ان ندخل في تفاصيل وضع المرأة في الاسلام ان نعيد الى الازهان ان الاسلام دستور ونظام إلهي يحيط بالحياة الانسانية بأسرها ويطبع كل فرع منها بطابع نظريته الأخلاقية الخاصة ويضع لها برنامجا اصلاحيا متميزا ، فللمرء الحرية التامة في ان يرتضى الاسلام كله ، أو يرفضه جميعا ، وليس له باى حال من الأحوال ان يأخذ بجانب منه ويستثنى امرا من الأمور مدعيا ان هذا امر شخصي لا علاقة للدين به ، فان الاسلام في صورته الحية كل متماسك الأجزاء مترابط الأعضاء بروابط داخلية حدفتها عبقرية التشريع الاسلامي التي وضعتها منسجمة مع الأهداف المنشودة ، فكل جزء فيه لا يمكن ان يؤدي وظيفته متكاملة إلا مع جميع الأجزاء الأخرى ، فاذا انتزع منه جزء وركب في بنية أخرى فقد يؤدي شيئا

أجل له أن يفتش عن الحجة العقلية ولكن لا ليتوقف عليها الامتثال وانما لحصول الطمانينة النفسية وزيادة البصيرة .

وقضية المرأة في الاسلام جزء من الشريعة الاسلامية الشاملة فالنظر اليها بمنزل عن باقي أركان الشريعة عمل خاطيء وليس بمستقيم ، فان الذى يقصر نظره على عمود فى بناء يرى وضعه عبثا ، اما اذا شمل البناء كله بنظرته فانه سوف يلحظ أهمية ذلك العمود فى رفع السقف وما له من دخل فى محافظة البناء على توازنه وتماسكه .

ولهذا فان الاسلام لا يحتفل بفعالات وضع المرأة فى المرحلة الحاضرة لدى الدول الاسلامية ، فانه وضع — لا شك — متدهور ومنحط ، ولكن السبيل لتقويم هذا الوضع ليس نفس السبيل التى سلكها المرأة الأوربية التى صادفت ظروفنا وانحرافات خاصة بها ، وانما الطريق لتصحيح وضعها — وحتى وضع الرجل — هى الاحتكام الى الشريعة الاسلامية الخالدة بايمان يعقبه تنفيذ بحرارة وصدق .

داعون الى التحرير ،

ومطالبون بالابصار :

هناك طائفتان تتوزعان العالم الاسلامى ، احدهما نصبت من نفسها الذائد عن حقوق المرأة ، والأخرى تطالب بابعادها من المجتمع . وحين يتجاوز الباحث الامور السطحية ويفتش عن الدوافع النفسية العميقة التى تقود هاتين الطائفتين الى ما قالتا يصبح من اليسير عليه اكتشاف الدوافع الحقيقية ، وهى تلتقى جميعا عند أمر واحد هو : دوافع الحرية

الجنسية .

فالفرصة الجنسية هى المحرك الأول لكل منهما الا أنهما تدابرا فى الطريق التى سلكا .

فالذين يطالبون بظهور المرأة فى صورة فاتنة مثيرة بأقوالهم الشعرية الحالة انساقوا الى موقفهم هذا تحت ضغط النزعة الجنسية ، ليوقظ ذلك غرائزهم ، ويستهوئ أنفسهم . أما الذين يؤمنون بوجوب ابعاد المرأة عن المجتمع وعزلها فى سجن ضيق فانهم مدفوعون — أيضا — الى موقفهم هذا بدافع تلك النزعة — وان بدا هذا غريبا لأول وهلة — لان الرجل الذى يمنع انشاءه من الخروج لا يكفى فى تبرير عمله هذا أى سبب سوى خوفه من أن يشاركه فيها غيره . فمن أراد أن يجد حلا لمشكلة المرأة وجب عليه أن يستبعد كلا الرايين ، لأنه لا أمل فى أن نجد فى آراء تنبعث عن الفرصة حلا لأى مشكلة . فلا بد أن نشيح بوجوهنا عن الآراء العاطفية ثم نحاول حل المشكلة واضعين مصلحة المجتمع وتقدمه الحضارى وبالتالي مصلحة المرأة — القطب الثانى من المجتمع — فى الاعتبار الأول .

فعلى هذا لا يجوز إعطاء المرأة أى حق على حساب مصلحة المجتمع ، لأن ذلك سوف يؤدى الى انهيار المجتمع ، فيتدهور وضع المرأة لأنها عضو فيه . وحل مشكلة المرأة الاجتماعية لدينا لا يكمن فى تقليدها لمظاهر المرأة الأوربية دون اعتبار الأسس التى قررت المرأة الأوربية السير عليها ، بل هى مشكلة إنسانية يتوقف على حلها استقامة المدينة . يقول بافلوف : « ان التخطيط قد يخص الحالة (البشرية) فى الشخصية دون الحالة الداخلية » . فمحاولة تغيير مظهر الشخصية أمر يسير ، أما تطوير ما يتصل بجوهرها أى تطوير النفس فانه يحدث نتيجة



على أنهما القطبان اللذان يكوّنان مما
الإنسانية دون امتياز لأحدهما على
الآخر فيما لهما من قيمة إنسانية :
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »
(النساء : ١) . « يا أيها الناس انا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم
عند الله اتقاكم » (الحجرات : ١٢) .
وهو ينبط بهما التكليف : « يا أيها
الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ،
ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا
بالألقاب » (الحجرات : ١١) .

« ولا تجسسوا ولا يفتب بعضكم
بعضا » (الحجرات : ١٢) .
ويحمل كلا منهما مسؤولية عمله :
« كل امرئ بما كسب رهين »
(الطور : ٢١) . « ولتجزى كل نفس
بما كسبت وهم لا يظلمون »
(الجاثية : ٢٢) .

وينال لديه كل منهما ما يستحق من
جزاء : « فاستجاب لهم ربهم اني
لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر
أو أنثى بعضكم من بعض » (آل
عمران : ١٩٥) .

وعندما يوصى الإنسان برعاية
والديه يخص الأم بذكر ما عانت من
آلام ويوجب الاحسان لهما جميعا :
« ووصينا الإنسان بوالديه احسانا
حملته أمه كرها ووضعته كرها .. »
(الأحقاف : ١٥) .

وقد لا يرضى قوم بأن الاسلام
قد ساوى بين الرجل والمرأة في القيمة
الإنسانية مستدلين على ذلك بمسألة
اعتبار الاسلام شهادة امرأتين بشهادة
رجل واحد . مستلهمين منه أنه
يساوى المرأة بنصف الرجل .

وليس هو كما يظنون ... ان
التشريع الاسلامي لم يفرض ذلك

لعمل بطيء ينحت الصورة المرغوب
فيها نحتا عبر زمن طويل .
وسلوك المرأة المسلمة السبيل التي
سلكتها المرأة الأوروبية لا يحل المشكلة .
لأن الحال التي عليها المرأة الأوروبية
الآن تدعو الى الرثاء ، لأنها تخلت عن
وظيفتها الطبيعية وهي حفظ الأسرة
وبقاء المجتمع وفقدت الشعور
بالعاطفة نحو الأسرة لتظهر في مظهر
لا يخاطب في نفس الرجل إلا غريزته
فاختارت الأزياء الفاتنة والمثيرة
وحددت النسل ومحت في نفسها كل
معاني التقديس للعلاقة الجنسية .
هذه هي بعض الأعمال التي تؤكد
المعنى الجسدي الذي يتمسك به
مجتمع يسوده الفرام باللذة العاجلة .

فما العمل ، وما

هو الحل إذن ؟

ينحصر الحل — كما سبق لنا ذكر
ذلك — في أن نعيد الى المرأة المكانة
التي وهبها إياها الاسلام ، لنجعل
منها « سيدة » تساهم في الحياة
وتوحي الى الرجل المواطن النبيلة
دون أن نخلق منها مسيطرا عليه ،
أو نمسخها خادما له .

ومشكلة المرأة تنحل الى فروع عدة .
نستعرضها مع الحل الذي طرحه
الدين الاسلامي كما نتصوره :

القيمة الإنسانية :

ينظر الاسلام الى الرجل والمرأة

للرجل ، فلم يميز في ذلك بين رجل وامرأة ، الا أنه طالما هو يرمى الى تربية المرأة لتصبح زوجة ذات حصانة في تدبير شؤون الأسرة واما تنمى جيلا يستطيع النهوض بعبء الحياة ، فانه يوجه عنايتها الى العلوم التي نفيدها في مجال نشاطها وتوسع أفق نظرها وتهذب أخلاقها .

أما اذا وجد فيها طموح الى أن تضيق الى ذلك ما سواه من علوم أو فنون لم يقف الاسلام حائلا بينها وبين ما تطمح اليه ما دامت ملتزمة بما وضعه لها من حدود . فهو يتيح لها الفرصة الكاملة لتنمى مداركها وكفاءاتها لتصبح مؤهلة للاضطلاع بنصيبها من العمل على رقي الحضارة الانسانية . لكنه يمسكها عن أن تستغل أداة للانحطاط الخلقي المؤدى دائما الى دمار الحضارات .

الحقوق الاقتصادية :

إن منزلة الانسان تعتمد الى حد كبير على حالته الاقتصادية وقد كانت حالة المرأة الاقتصادية هزيلة في ظل كل القوانين . فآدى عجزها الاقتصادي هذا — بوصفه أحد الأسباب الهامة — الى استعبادها . ونهضت أوروبا وأرادت الإصلاح فدفعت المرأة لتجعل منها عضوا في المجتمع كاسبا ، فأفصى بها هذا التغيير الى مفاسد أخطر من الأولى . أما الاسلام فقد سلك السبيل الوسطى فمنحها حقوقا واسعة في الميراث ، وقد يثار الحديث هنا عن فرض الاسلام نصف نصيب الرجل للمرأة في الميراث مكتشفين من ذلك أن الاسلام يخفض من قيمتها الانسانية ويحد من حقوقها الاقتصادية ، الا أن هذا الحديث قد عفى عليه الزمن فان الاسلام لم يفرض لها ذلك النصيب لأنه يعتبرها نصف انسانة أو رغبة

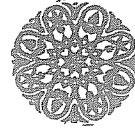
لنظرة الى المرأة على انها تساوي نصف الرجل ، وانما هو لفرض آخر هو أن يوفر كل الضمانات الممكنة في الشهادة . لأن المرأة تسيطر عليها الطبيعة العاطفية السريعة الانفعال . فلاجل أن يتلافى تأثيرها — في بعض الملابس للقضية — طلب أن تكون معها أخرى ، لأن من النادر جدا أن تتفق امرأتان على تزيف واحد : « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فنذكر اياهما الأخرى » البقرة : ٢٨٢ .

الحقوق المدنية :

لقد سوي بين الرجل والمرأة في القوانين المدنية والجنائية الاسلامية ، فكل منهما محفوظ النفس والعرض والمال إلا بالقانون ، ولا يسلب حريته الفردية دون أن تثبت عليه جريمة . وله الحرية في ابداء رأيه ومبدئه دون ارهاب . وتكفل الدولة لكل فرد من أفرادها — مسلما كان أم غير مسلم — حاجاته الانسانية اللازمة . وقد ترك للمرأة حرية اختيار شريك حياتها ، ومنحها حق الخلع والفسخ وأباح لها تجديد الزواج بعد طلاق أو فسخ دون أن تكون لأحد عليها سلطة . وقد أمر الرجل بمعاملة المرأة معاملة طيبة ومعاشرتها معاشرة سمحة : « وعائشوهن بالمعروف » (النساء : ١٩) . « ولا تفسسوا الفضل بينكم » (البقرة : ٢٣٧) . وأمره أن يشاورها فيما يعن له من أمر « وأنتمروا بينكم بمعروف » (الطلاق : ٦) .

حق التعليم والثقافة :

حث الاسلام على تعليم المرأة كثيرا وجعل التنقيف لها لازما كلزومه



فى أن الرجل قادر على أن يقوم بما تؤديه المرأة من تكاليف الأسرة والبيت وأن المرأة تستطيع أن تشارك الرجل فى الحياة العامة ، إلا أنه لا يصح للرجل أن يترك دائرة عمله ليتسلم المهام التى تؤديها المرأة ، وكذلك لا يصح للمرأة أن تتخلى عن البيت والأسرة لتنازع الرجل فيما يقوم به من دور . لأن الرجل لا شك أصلح للجهاد خارج البيت ، والمرأة أصلح لتدبير السكينة فى الحياة .

فهنا حصتان لكل منهما الحصاة التى أعد لها طبيعياً ووجدت فيه المؤهلات النفسية والجسدية للاضطلاع بأعبائها ، وليست احداهما بأهون ولا أوهن من الأخرى . فهما متعاونان متقاسمان الجهد والسمى لا متنازعان متصارعان .

لها حق الانوثة والأمومة ، وله حق الرجولة والجهاد . لها وظيفة اعداد جيل المستقبل ، وله وظيفة اعداد جيل الحاضر .

ويؤيد هذا علم الأحياء الذى أثبت أن تركيب جسم المرأة يختلف عن تركيب جسم الرجل فى الانسجة وحتى الخلايا عليها الطابع الانثوى .

فمنذ يبدأ الجنين فى النمو ، يرتقى كل من الصنفين فى صورة تخالف صورة الآخر ، فجسم المرأة ينمو نموا تستمد به للولادة والتربية ، فيصمم فى تركيب جسمها منزل ليستقبل الكائن الجديد ويعزل نصيب من غذائها ليتحول الى غذاء لذلك الضيف ، ومع الشباب يعروها المحيض الذى يتركها فى حالة شبه مرضية ويؤثر فى جهازها العصبى والذهنى فيصيرها فى حالة ارتخاء وعدم انتظام ويجرمها كثيرا من حريتها العملية ، ثم تجيء فترة الحمل فيختل جهازها العصبى

منه فى أن يجعل حقوق المرأة الاقتصادية فى المرتبة التالية بعد الرجل ، وانما فعل ذلك لأنه قد فرض للمرأة حقوقا اقتصادية أخرى هى النفقة والمهر اللذان كلف بهما الرجل . فالحفظ التوازن الاقتصادى بينهما كان ذلك التشريع ، فالتفرقة بينهما فى المال الموروث اذن لسبب واحد وظاهر وهو تكليف الرجل بالانفاق واعفاء المرأة من ذلك ولهذا نجده لا يبيح التفرقة بينهما فى الكسب والأجر .

وكل ما ظفرت به من مال بوسائل مشروعة ، منحت فيه كل حقوق الملكية ، ومنع غيرها أن يتدخل فى شئ من ذلك .

ولها الحق فى تثير أموالها بالوسائل المشروعة ، ولا يرفع كل هذا وجوب صرف النفقة اليها من زوجها .

حق العمل :

إن شؤون الأسرة التى تهىء السكن النفسى للزوجين حين يفقدانه فى أى مكان آخر وتهىء الجو النقى لارساء الكيان النفسى للأطفال على أسس قويمه — أن شؤون هذه الأسرة لكثيرة ومتشعبة فلا يستطيع الرجل منفردا أو المرأة وحدها القيام بمهام الأسرة جميعا ، فمن العدل أن توزع بينهما جريا على مبدأ توزيع العمل ، ثم لا بد أن يختص كل منهما بالقسم الذى هو أقدر عليه وبما هىء له طبيعياً . وليس هناك شك

ويضطرب فيها اتزانها الذهني وتصبح قواها الروحية في حالة فوضى مستمرة . وتعقب ذلك فترة النفاس التي تكون فيها عرضة لأمراض مختلفة لأن الجروح التي تعانى منها تكون مستعدة للتسمم ، وتكون أعضاؤها الجنسية في حالة استعادة وضعها الاصيل .

وبعد أن تتجاوز هذه المراحل 'الشاقة' والعسيرة تبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة الرضاع التي تحيا في أثنائها لوليدها ، ثم يجيء دور الحضانة والتربية الذي يستغرق زمنا طويلا ، ولم يجد شيئا تغذية الطفل بغير لبن أمه ، لأن الاختصاصيين قد أجمعوا على أن لبن الأم ليس له بديل ، وقد اقترحوا التربية الناشئين دورا للحضانة ليوفروا للأم وقت العمل في خارج البيت ، ولكنه اقتراح عقيم ، فليس هناك أى امرأة يمكن أن تفقد على الطفل ذلك الحنان الذي يجده عند أمه .

هذا هو تركيبها الجسدى الذي هيء للحمل والولادة والرضاع .

أما الكيان النفسى الذى منحه ليمشى مع أهداف ذلك التركيب فهو تلك المشاعر النبيلة والصبر على العمل المتواصل والدقة فى الأداء والملاحظة والرقعة فى العاطفة ، والسرعة فى الانفعال ، واللين والمرونة فى السلوك ، وباختصار فإن الجانب العاطفى هو الذى يلون كيانها النفسى لأن الأمومة لا تحتاج إلى الفكر بمقدار ما تستلزم العاطفة التى تستجاش بأول لمسة .

وحتى فى طبيعته احساسها الجنسى تختلف عن الرجل بحيث يوائم وظيفتها الفطرية ، فاحساسها به أعبق كثيرا من احساسه وأثمل ، وهو لا يتركز عندها فى نشوة الجنس الطارئة وإنما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والتربية ، فإن الاحساس

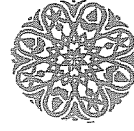
الذى يرافق كل هذه الأمور هو إحساس جنسى أصيل ، بخلاف الرجل فإن احساسه به يتركز فى النشوة الجنسية الطارئة وينتهى عند تفرغ تلك الشحنة الكهربائية الجارفة ، وبينما تتركز الشهوة الجنسية عند الرجل فى نطاق محدود ، فإن المرأة لا تعرف هذا التركيز ، لأن معظم جسمها موطن يصلح لذلك الإحساس على درجات متفاوتة ، وتحس المرأة بأكثر من موضع واحد حساسية شديدة بعضها فى جوف الجسم والآخر على سطحه أثناء العمل الجنسى . فاختلافهما فى طبيعة احساسهما الجنسى هيء بتلك الطريقة الخاصة ليلائم وظيفة كل منهما فى الحياة .

فالرجل يشعر بالجنس إلا أن شعوره به أشبه بالنزوة الطارئة المركزة التى تنزع إلى التفرغ ، فإذا أفرغت هذا ذلك الإحساس واستقر حتى يعود ، وفى أثناء ذلك ينصرف بفكره عن مسائل الجنس إلى ألوان أخرى من مسائل الحياة وينصرف بجسده أيضا ليمارس شؤون الصراع .

أما المرأة فإن شعورها بالجنس أعبق وأوسع نطاقا وليس يتركز فى نشوة طارئة وإنما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والرضاع والتربية لئلا تحملها آلام الحمل والوضع وتبعات الرضاعة والقربى على الامتلات من هذه الوظيفة .

فهل من المساواة أن نضيف إلى أعبائها هذه كلها التى انفردت بها أعباء كسب المعيشة ؟

أم هل هى مهينة بكيانها الجسدى وتكيفها النفسى للصراع خارج البيت؟ كلا !! وإنما هو من الظلم والحيث على طبيعتها أن تقوم بكل هذا الدور العظيم ثم تخرج لتكسب قوتها ، ومن حسة الرجل وأثانيته أن يطالبها بذلك وليس معنى اختلافهما فى الوظائف



الاستثنائية والضرورات أجيز للمرأة أن تعمل ، كما لو فقدت المعيل أو فقد المعيل القدرة على العمل أو عجز المال الذي ينقاضه عن القيام بشؤون الأسرة . الى كثير من الأسباب الأخرى .

الإشراف على شؤون الأسرة :

اكتشف التحليل النفسى فى الانسان ان المرأة تسيطر عليها نزعة (Thnatos) وهو حب وقدرة خلاقة . أما الرجل فان النزعة التى تغلب عليه هى نزعة (Thnatos) وهى جفاء وقدرة على التخطيط من جهة . وقدرة مراقبة ونظيم من جهة أخرى . فاذا سيطرت نزعة (Eros) على المجتمع كان عليه طابع الامومة بما تملك الانثى من عبقرية . واذا سيطرت عليه نزعة (Eros) كان عليه طابع الابوة بما للذكر من عبقرية . والحضارة التى تطبعها عبقرية الانثى — وهى عندما تتولى فيه مقاليد الأمور وتقوم بأدوار البطولة وينزوى فيها الرجل ليقوم بدور المخنث — ان هذه الحضارة لا بد مؤدية الى الفجور والانحلال والميوعة . والحضارة التى تطبعها عبقرية الذكر — وهى عندما يستقل الرجل بتسيير دفة الحياة مهملًا المرأة تعين على هامش الحياة — لا شك تنتهى الى الجفاف والعقم والتحجر .

وجاء الاسلام ليضع الإشراف على شؤون الأسرة بيد الرجل : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** » (النساء : ٣٤) الا انه يحول بينه وبين نزعات الجفاء والتخطيط فحظر وأد البنات الذى كان يمارسه المجتمع الذى طبعته عبقرية الذكر ، ثم ترك له القدرة على ضبط النفس والتنظيم والتوجيه على ان يشاور المرأة : « **وعاشروهن**

كون احدهما افضل من الآخر : وانما لكل فضائله ومخازيه فى ميدانه الخاص ويمارسها على طريقته المتميزة :

فالرجل الذى يهب نفسه لفكرة فيكرس كل حياته من أجلها لا ترحزحه عنها كل ما فى الأرض من مغريات غير قاصد الى مصلحة شخصية وانما هو يفعل ذلك لخير الانسانية كلها ، تلك الانسانية التى يمنحها كل حبه ووده الخالص من كل حقد أو ضغينة — هذا الرجل يرتقى الى قمم لا ترقى اليها المرأة .

والمرأة التى تهب نفسها لحب عظيم تكنه لزوجها وأبنائها وبيتها فتتفانى فى ذلك الحب الى ابعد الحدود فتنسى نفسها وتطرح أنانياتها لتتحول الى طاقة تنفق لاسعاد هؤلاء — هذه المرأة تصل الى قمم لا يدانيها الرجل . أما الرجل الذى يهبط فى غرائزه الجنسية الى مستوى الحيوان فلا تهدأ نزواته البهيمية فيتقلب الى حيوان مفترس لا يكاد ينتهى من افتراس عفاف صيد حتى يمضى قدما فى البحث عن صيد آخر ، فى صورة جنونية — أما هذا الرجل فانه ينحدر الى مستوى لا تنحط اليه المرأة السوية .

والمرأة التى تبلغ بها شدة الفيرة وضراوتها أن تضع حدا لحياة أطفال لامرأة أخرى ولو كانت تحت التراب ! — هذه المرأة تتردى الى هوة سحيقة تبعث على الخزى لا يهوى اليها الرجل السوى .

هذه هى القاعدة الرئيسية فى نظام الاجتماع الاسلامي ، وللأحوال

بالمعروف» (النساء : ١٩) .
« واتمروا بينكم بمعروف »
 (الطلاق : ٦) . فصاغ مجتمعنا نالت فيه المرأة كل حقوقها ، وأدت واجبها الفطرى وهو شؤون الزوجية ، ولم يفرض عليها الأعمال المنزلية كالطبخ والفضيل حتى أرضاع الوليد فانه ليس مفروضا عليها ، بل لها ان تأخذ عليه الأجر ان شاءت ، فتكافأت حقوقها مع واجباتها :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » (البقرة : ٢٢٨) .

تعدد الزوجات :

ان تعدد الزوجات تشريع سابق للإسلام ، فقد أباحت الشريعة الاسرائيلية تعدد الزوجات فى حالة رغبة الزوج واستطاعته وأطلقته من غير تحديد لعدد معين ، وجاءت المسيحية فالتزمت الصمت ازاء مسألة تعدد الزوجات ، وقد ورد فى كلام بولس الرسول ما يفضل الاكتفاء بواحدة لرجل الدين لأن ذلك أهون الشرين ! وظل العالم المسيحى يبيع ذلك حتى القرن السادس عشر وقد أقره المصلحون لديهم أمثال مارتن لوتر ، وقد أوجبه بعض الطوائف المسيحية ، ففى أوائل العقد الرابع من القرن السادس عشر نادى اللامعقدانيون فى مونستر بأن المسيحى الحق ينبغى أن تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون تعدد الزوجات نظاما إلهيا مقدسا ! كما نقل كل ذلك (Westermarch) فى تاريخه . أما الإسلام فانه أباح تعدد الزوجات على أن لا يزيد عن أربع : **« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتكم الا تعلموا فواحدة » (النساء : ٣) .**

فأباحه ، مجرد اباحة ، لا وجوب فيها ولا استحسان ، واشترط لأباحتها العدل بين الزوجات فمن لا يجد من نفسه القدرة على العدل بينهما لم يجز له ذلك .

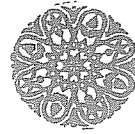
وقد أشار القرآن الكريم فى موضع آخر الى صعوبة العدل حتى يفكروا مرتين — كما يقولون — قبل أن يقدموا عليه : **« ولئن تمسطينا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » (النساء : ١٢٩) .** أما اباحة تعدد الزوجات فهو قانون لمواجهة الطوارئ وأمر ضرورى لحالات استثنائية كثيرة تطرأ على المرأة والرجل وعلى المجتمع أيضا تكون فيها اباحة التعدد أفضل الحلول .

فقد تصاب المرأة بالعقم ، فان منعنا التعدد فاما أن يصبر الزوج ويبقى على زواج قد فقد معناه والهدف منه ، واما أن يلجأ الى الطلاق . وكذا اذا أصيبت بداء أقعدها عن أداء وظيفتها المنزلية . فهل هذان الحلان أفضل من اباحة التعدد ؟

لا شك أن صبر المرأة العقيم أو المريضة على التعدد أفضل لها من الطلاق ولفظها الى الخارج فى أشد الأوقات حاجة الى زوجها .

ولا شك أن اباحة التعدد أفضل للزوج من الصبر على زواج فاقد المعنى والهدف وأفضل له فى البقاء دون عقب يسكن ويطمئن اليه ويرضى به نزغته الى الخلود !

وقد تمر بالأمم أزمان يحدث بسببها زيادة فى عدد النساء على عدد الرجال ، كما يحدث ذلك فى أعقاب الحروب والثورات وقد يحدث فى أعقاب الأوبئة الفتاكة حيث لا تتعرض لها المرأة على الصورة التى يتعرض لها الرجل ، وحتى اذا تعرضا لها معا فان الاحصاءات تثبت قلة الفتك فى جانب النساء ولعله بسبب مناعة فى جسيمها ضد الامراض أكثر



الطلاق :

إذا استحال بقاء الزوجين متفاهمين
فلا بد حينئذ من الطلاق ، لأنه أرهم
بهما في هذه العلاقة البالية .
ولم لم تمنح حق الطلاق ؟ إنها
إنسان عاطفي يوافق على الشيء

موافقة تامة ، فاذا تحولت عاطفته عنه فما أسرع ما يرفضه . والمرأة تعرف ذلك من نفسها فتفكر — ولكن واقعية في ذلك — كم مرة — سوف تطلق لو منحت ذلك الحق . فان كل ثورة عاطفية — وما أكثرها — سوف يعقبها طلاق . فلا يقر للأسرة قرار ، ويختل نوازن نفوس الاطفال في هذا الوسط القلق المضطرب .

الا أن الاسلام منحها حق الخلع : وهو أن يطلقها لقاء فداء تدفعه اليه ويجوز أن يكون أكثر من المهر ، وهذا يقع في حال كراهية الزوجة فحسب ، ومنحها حق المبرأة : وهو مثل الخلع الا انه لا يجوز فيه أن يكون الفداء أكثر من المهر ، وهو يقع في حال كراهيتهما معا .

والاسلام ينظر الى الطلاق والخلع
والبراءة على أنها قسوة من
المستحسن جدا اجتنابها مهما أمكن ،
فالطلاق أفضى الحلال الى الله .

ولا يدخر الاسلام وسعا للحيلولة دون وقوعه : فاذا اجس الزوج بنفرة من زوجته فطليه بالصبر عسى ان تكون هذه النفرة عارضة وفي باطنها خير : « فان كرهتوهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (النساء : ١٩) .

وإذا شعرت الزوجة بجفوة من زوجها فليطهها بالصلح : ((وان امرأة خافت من بعلها نفورا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، واخضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)) (النساء : ١٢٨) .

فان لم ينجح ذلك وبنت في الامق
امارات الشقاق بينهما : « وان فقم
شقاقي بينهما فابعثوا حكما من اهل
وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا
بوفق الله بينهما ان الله كان عليما
خبيرا » (النساء : ٣٥) .

واذا عجزت هذه الوسائل كلها عن ايجاد الصلح بينهما فليس هناك مناص من الطلاق : « وان يعرفا يغن الله كلا من سعفه وكان الله واسعا حكيما » (النساء : ١٣٠) .
والاسلام يحفظ للمرأة حينئذ حقها في المال فلا يجيز للرجل أن يمسك عنها شيئا في صداقتها : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وانتم احداهن فبطارا فلا تآخذوا منه شيئا آتآخذونه بهتانا واتما مبينا » (النساء : ٢٠) .

واذا تم الفراق وجب على الزوج أن يتكفل لها بمعيشتها مع ابنائها طول مدة العدة : « ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف » (البقرة : ٢٣٦) .
« اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتهن أجورهن واثمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسرآ يسرا » (الطلاق : ٧٦)
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (البقرة : ٢٣٣) . وكل الآيات التي وردت في شأن الطلاق تؤكد المعاملة بالمعروف وتشدد في النهي عن الإيذاء أو أي لون من ألوان الإساءة .

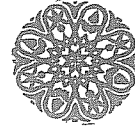
الحجاب :

يقول الله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يذنين عليهن في جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » (الاحزاب : ٥٩)

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زینتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنی أخوانهن أو بنی أخواتهن أو نسائهن أو ما ملکت أیمانهن أو التابعین غیر أولى الاریة من الرجال أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء ولا یضربن بأرجلهن لیعلم ما یخفین من زینتهن » (النور : ٣٠ - ٣١) . « یا نساء النبی لستن كأحد من النساء ان اتقیتن فلا تخضعن بالقول فیطمع الذی فی قلبه مرض وقلن قولا معروفا » . وقرن فی بیوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلیة الاولى » (الاحزاب : ٣٢ - ٣٣) .

فهذه الآيات الكريمة لا تترك مجالا للشك في وجوب الحجاب على المسلمين ، فيجب على النساء أن يدين عليهن من جلابيبهن ، والجلباب هو الثوب الواسع ، ويجب عليهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن أي أن يسترن صدورهن بما يفظين به رؤوسهن ، ولا يسمح لهن في ابداء زینتهن الا ما ظهر منها دون ارادة ، ويجوز لهن أن یبدین زینتهن لأزواجهن مع الآباء والنساء والممالیک والتابعین الذین لا یرتاب فیهم والطفل الذی لا یدرك الامور الجنسية .

ولم یکن الاسلام مبتدعا للحجاب بل قد سبقه الى ذلك كتب العهد القديم والاناجیل ، وفرض اليونان العزلة على نسائهم والرومان وان لم یصنعوا صنیع اليونان الا أنهم حرّموا على المرأة الظهور فی الطرقات بزینتها وحرّموا علیها المفالة بالزينة حتی فی البیوت .



فى المصى تناسب كل الطبقات من
النسك والرعاة والامراء المترفين لأن
الهدوء كان يسود حياتهم جميعا ، أما
اليوم فلا يتصور أحد أن يرتدى العامل
الذى يبنى أو يصلح الماكينة أو أى
عامل آخر العباءة ، لأن حياة المصنع
والمعمل تستدعى النشاط .

الا أن الملبس ليس كمأ مهملا
بالنسبة الى التوازن الأخلاقى وانما
هو أحد العوامل التى ينام بها ذلك
التوازن . لأن له روحا تخصه وهو
يساهم الى حد ما فى تكوين
الشخصية ، ويضفى عليها لونا مميزا
ونستطيع أن نلمس ذلك فى الشاب
القوى الذى يرتدى لباس العجوز فان
ذلك يؤثر فى نفسه وحتى فى مسيره
وكذلك العجوز الذى يخلع ملابس
ليحل محل ملابس الشباب محلها فانه
سرعان ما يظهر أثر ذلك فى نفسه
وسلوكة . ومثل آخر شاب ضعيف
يلبس لباسا رياضيا فانه يشعر أن
روحا رياضيا يدب فى جسمه .

فالملبس له أهمية اذن بالنسبة
الى التوازن الاخلاقى ، الا أن هذا
يجب أن لا يقودنا الى الاعتناء
بالشكليات أكثر مما تستحق .

وهو فى تطور دائم لأن لكل رجال
لباسا ، الا أن هذا يجب أن لا يسلمنا
الى التقليد بغبوة ودون التفات الى
ما تقتضيه أحوالنا الدينية والاقتصادية
وما تطالبنا به أذواقنا وحاسة الجمال
لدينا .

ويشد انتباهى نفر ممن أصابوا
ثقافة ممتازة يلهجون بأن الاسلام لم
يفرض على المرأة حجابا ، وينهضون
الى كل من يتصدى لهم بالنقد
فيطرونه بوابل من الاتهامات !!
وهؤلاء قد أخذوا بالحياة الغربية
واستقر فى أنفسهم أن مسامرة الزمن
تنحصر فى تلقى كل ما جاء به الغرب
بالقبول ، فأظهروا مرونة فائقة وحنوا
رؤوسهم له واتخذوه قبلة لهم ،

وعندما فرض الاسلام الحجاب
لم يفعل ذلك محافظة على التقاليد
وانما ليظهر الجو من كل آثار الفتنة
ولهذا نراه قد أجاز للاتى لا تحتمل
فى حقن الفتنة أن يضعن ثيابهن
بصورة لا تتكلف فيها بابداء ما عليها
من زينة : « والقواعد من النساء
اللاتى لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن
جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة ، وأن يستعففن خير لهن »
(النور : ٦٠) .

وأوجب غض البصر على الرجال
والنساء سواء بسواء لأن النظر هو
الباعث للتورط فى الاثم .

وينفر من هذا بعض المثقفين
زاعمين أن هذا يتنافى مع الشعور
المرهف وتذوق الجمال ، ولا يحظر
الاسلام على المرء أن يستمتع بالجمال
وأن يرضى ذوقه فى ذلك بل يفتح
أمامه سبيل الزواج ليظفر بذلك كله
عن طريق مشروعة .

فالتشريع الإسلامى يمنع الانسان
من النظرة الآثمة ويحتاط لذلك أشد
الاحتياط لئلا يلحق بالناس دنس أو
شروء فكر وضياع حيوية وهيجان
على الاقل ، فيفتد المجتمع فكرا
وهيوية وهدوءا نفسيا كان فى الأخرى
أن يصرف نحو الرقى والتقدم .

ولم يعين الاسلام زيا خاصا ،
لا للمرأة ولا للرجل ، لأن الزى أمر
خاضع للتطور ، ولكل زمان زيه
الخاص به .

فالحياة الهادئة تتطلب زيا خاصا
يختلف عن الزى الذى تستلزمه الحياة
المتحركة العنيفة ، فالعباءة مثلا كانت

وضربوا بالقرآن عرض الحائط .
وراحوا يفتشون عن منافذ « شرعية »
يعززون بها آراءهم . وهم يجيدون
البحث في ذلك فينقبون في بطون
الكتب ليعثروا على خبر هنا ورواية
هناك يضمنون بعضها الى بعض
ليسوقوا لنا « دليلا » ! على أن
الاسلام لم يفرض الحجاب ، بل
هو قد حث على التخفف منه !!!

ولينهم جشموا أنفسهم عناء يسيرا
فبسطوا القرآن ليتلوا تلك الآيات
البنات التي نرفض الحجاب بما لا يدع
مجالا لشك . الا أنهم يمرون بها
مهرولين دون أن يعنيتهم الالتفات اليها
واذا ذكرهم بها مذكر تصامموا عنه
لأنه سوف يضيع عليهم فرصة العمر !
وكانهم قد غاب عن أذهانهم أن
الخبر مهما بلغ من القوة فانه ليس
يقوى على الوقوف أمام آية صريحة
من الذكر الحكيم .

أما المسلم الموضوعي فحين
تصادفه مشكلة يريد حلها في ضوء
تعاليم دينه فانه يعالج الموضوع بجد
ويستطلع رأي القرآن في ذلك دون
أن يأتي بفكرة مسبقة ثم يحاول أن
يفسر عليها بعضا من آيات الكتاب ،
ثم اذا اطمأن الى شيء عمل بدون
هوادة على تغيير البيئة لتوافق
عقيدته .

أما أن يقف موقفا متخاذلا يتقول
فيه على الاسلام بما ليس منه ولا
توابعه الشجاعة أن يكون مسلما حقا
أو غير مسلم ، فأحرى به أن يترك
هذا الخور في العزم ويمزق الأقنعة
ليفصح عن شخصيته الحقيقية .

وليست مسألة الحجاب عقدة
مستحكمة وانما تتطلب من الباحث
شيئا واحدا وهو أن يمارس عملية
« تعقيل الأهواء » .

فبدل أن نثير ضبابا يجعل الرؤية
شبه متعذرة نلقى نظرة على الآيات
التي استعرضت مسألة الحجاب دون
أن نعتسف في تفسيرها أو نأثي
بطابور من الروايات ان صح سندها
فليس هناك من يعتبرها في مستوى
حجية القرآن الكريم .

هذه هي المنزلة الرفيعة التي
تحتلها المرأة في التشريع الاسلامي
والتي لم تمنح ما يقرب منها في أي
تشريع آخر قديم أو حديث ، فكل ما
نالت المرأة من حقوق في التشريعات
الحديثة لم تظفر بها الا بعد انتفاضات
عنفية وثورات دامية واضرابات
مستمرة .

أما المكانة والحقوق التي وهبت
اياها في الاسلام فقد حصلت عليها
دون هذا كله . بل دون أن تطالب
بها ، فحوت هذه المكانة ومنحت هذه
الحقوق لكونها مخلوقا انسانيا خلقه
الله سبحانه مكملا للرجل ومعينا له ،
ولأن الشريعة الاسلامية قد أرسيت
قواعدها على الحق والعدل .

وهناك قسم كبير من مجتمعنا
الحاضر يعاني من نكسة كالكسفة
التي لازمت المجتمع الجاهلي ، الا أننا
لا نستطيع — اليوم — أن نؤد البنات
لأن هناك بقية من القانون الأخلاقي
الاسلامي يمسكنا ، وقانونا جنائيا
يفلّ أيدينا ، ولكننا ان لم ندسهن في
التراب وهنّ احياء فاننا ندسهن في
ظلام الجهل !!

((واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله وإلى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان
آبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون))
(المائدة : ١٠٤) .

مانعة الفارسية

وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل أني رسول الله فليكن معكم
لا بين يدي بن القوراء وبشر الرسول ياني من بعدى اسمه أحمد
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .
صدق الله العظيم

قال مبللى الله عليه وسلم : ان لى اسماء : أنا أحمد . وأنا أحمد ، وأنا
المحجى الذى يمحى الله به الكفر ، وأنا العاشر الذى يشر الناس
على قدس ، وأنا العاشر الذى ليس بمتة نبي .

فقه على

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامة :
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
استدعى يوما امرأة لسؤالها ، فقالت :
يا ويلها . ما لها ولعمر ؟ فبينما هي
فى الطريق اذ فزعت وفاجأها الطلق ،
فألقت ولدا صاح صيحتين ثم مات ،
فاستشار عمر أصحابه ، فأشار
بعضهم أن ليس عليك شيء انما أنت
وال ومؤدب ، وصمت على رضى الله
عنه ، فاقبل عليه عمر فقال له : ما
تقول يا أبا الحسن ؟
فقال : ان كانوا قالوا براهيم فقد
أخطأوا رايهم وان كانوا قالوا فى
هواك فلم ينصحوك .. ان ذيقه عليك
لأنك أفزعته فألقتة .. واستجاب
عمر لهذا الراى .

الم نشرح

حكى عن العتيبي قال : كنت ذات
ليلة فى ابداية بحالة من الفم ،
فالقى فى روعى بيت من الشعر
فقلت :
ارى الموت ان اصبر
حج مضموما له أروح
فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف :
الا ايها المرء الى
لذى الهيم به برج
وقد أشد بيتا لم
يزل فى فكره يفتح
إذا استبد بك العصر
ففكر فى « الم نشرح »
فصبر بين صبرين
إذا ابصرته ففكر
فمفطت الأبيات وفرج الله همى .

الفوغاء

الفوغاء : صغار الجراد ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين الى الشر .

احسن من القمر

قال رجل لامراته مداعبا : انت احسن من القمر ، فظننت الزوجة انه يسخر منها ، فاكد لها قائلا (انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر) فظننت الزوجة انها اصبحت طالقة ، فذهبت مع زوجها الى فقيه لاستفتائه فقال لها الفقيه ان يمين زوجك صحيحة وانك لم تطلقى لانك فملا احسن من القمر والدليل على ذلك قول الله عز وجل (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) فانت من بنى الانسان ، وبنو الانسان خلقهم الله في احسن صورة .



العتيق والهجين

العتيق : الجواد الأميل ، والهجين : الجواد غير الأميل ، والهجنة في الخيل انما تكون من قبل الأم ، فاذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا .
 واول من فرق بينهما القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي . اذ دعا بطست فوضعت على الأرض ، ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا ، فما ثنى سنبكه (طرف حافره) ثم شرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، لأن أعناق الخيل العتاق طوال ، فهي لا تثني سنبكها لطول أعناقها ، ولأن أعناق الهجن ، قصار ، فهي لا تنال المال الا بثني سنبكها .

لحم القطط

اتفق العلماء على حرمة لحم القطط التي تعيش في البيوت وهي صالحة أكلها . فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (انه نهى عن اكل لحم الهر) .

الاسلام

والصحة النفسية

للأستاذ على القاضي

لأن الايمان بالله نور يشرق في القلب
فتشرق به النفس فيرى الانسان
الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه
اضطراب ولا قلق .

وعقيدة الاسلام حين تتغلغل
في النفس تدفعها الى سلوك
ايجابى سليم يجمع المؤمن
مطمئنا ثابتا (يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة) .

والاسلام يجمع المسلم مرتبطا
بالله تعالى في كل خطوة من خطواته
فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له ومنه
يستمد القوة والعون وهو يصلى لله
خمس صلوات في كل يوم يتلو في
كل صلاة (إياك نعبد وإياك نستعين)

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد
به : أن يكون الانسان قادرا على
التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي
يعيش فيه بنفس خالية من
الاضطرابات ملينة بالتفاؤل والامل .
فالشخص الصحيح نفسيا هو الذى
يواجه مشكلات الحياة بأسلوب
موضوعى فيحلها وكأنها ليست
مشكلته وبذلك لا يهرب منها ولا
يقابلها بانفعالات تؤذى ولا تفيد .

والاسلام جاء ليخرج الناس من
الظلمات الى النور .

والقرآن أنزله الله ليكون شفاء
ورحمة للمؤمنين (وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ذلك

أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الديني للمسلم يأتي في مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعي وفي ذلك فائدة كبيرة للفرد المسلم ذلك لأنه سيخرجه إلى الحياة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الإنسان مع نفسه الأمر الذي يجعله يتقلب على صعوبات الحياة وتقرن انفعالاته في فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته وذلك بفضل الإيمان الذي ينتج عن التربية الدينية الصحيحة وهو الدواء لكن مسلم إذ يحل له جميع مشكلاته ويجعله يعيش في هدوء وعمل مستمر .

مطالب الإنسان في الحياة :

لكل إنسان مطالب في الحياة بعضها يتحقق وبعضها لا يتحقق والإنسان إذا أصابه خير فرح واستبشر وإذا أصابه ضرر ضاق وحزن وقد يؤثر هذا في نفسه ويؤثر في سلوكه وقد يصيبه بالقلق والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة .

والاسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشيء الذي يحبه قد لا يكون فيه الخير وأن الشيء الذي يكرهه قد لا يكون فيه الضرر وعلم ذلك عند الله (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وبهذا يستريح قلب الإنسان فلا يصبح موضع صراع لأنه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر

عدة مرات ، ومن يجعل الله هو المعون له فإنه يحس بالأمن والطمأنينة والراحة لأنه يحس بأقوى سند في هذه الحياة .

الصحة النفسية في الطفولة :

يقول علماء النفس : (إن شخصية الإنسان تبدأ في التكوين في الأيام الأولى من الحياة ويتم تكوينها سريعاً وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التي يستقبلها جهاز الأطفال العصبي والتي تتجمع من سلوك الآباء والأبناء) ولهذا كانت الدعوة إلى الصلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهم الأشياء التي دعا إليها الإسلام (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فالصلاة تجعل النفس مطمئن فتحس بأنها في حماية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية من كل شر إلا ما شاء الله ، وفي الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله وتهدأ لأنها تحس بأنها ليست وحدها في الوجود وكل ما حولها من صنع الله وهو صديق لها لأن الله سخرها له (سخر لكم ما في الأرض جميعاً) فالنفس المسلمة ليست كالنفس الغريبة التي تحس بأن الطبيعة عدو لها فهي لذلك في صراع دائم معها .

ولقد حرص النبي الكريم على أن يحرص في الناشئة من أبناء المسلمين أركان الصحة النفسية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق وحتى تكون نفوسهم سليمة ومن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس (وقد أرفه خلفه وهو صبي) أن يداوم الصلاة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة فقال له : « يا غلام . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم

هو خير بالنسبة له وان كان لا يعلم فيه وجه الخير .

قد يفكر الانسان في عمل شيء ويقف مترددا هل يقدم او يحجم ؟ ان على الانسان ان يبحث هذا الأمر من جميع الزوايا وان يستشير فيه أهل الذكر والأصدقاء والأخوة فان لم يهتد الى رأى قاطع فعليه ان يستخير الله ويطلب منه العون في قالب عبادة يصلى ركعتين تطوعا ثم يدعو الله بدعاء مخصوص ثم يستخير به فأي شيء يوجهه الله اليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود في كتب السنة وفي كتب الفقه وهو (اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر (ويسمى حاجته) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به) .

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فإن الله الكريم هو الذي أراد له هذا ففيه الخير كل الخير حتى وان كان لا يظهر له ذلك .

داخل المجتمع الإسلامي :

المسلم داخل المجتمع في حاجة الى الأمن والطمأنينة ولذلك فقد جعل الله الصلة بين المسلمين هي صلة المودة فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه وهو الناصح الأمين له وهو الصديق الذي يشاركه في أفراحه وأحزانه .

والحب في الله له مكانة عالية والاسلام يوجه المسلمين هذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسير عليها فالمحتاجون في الله لهم مكانة عالية عند الله يفبطهم عليها الأنبياء والشهداء (ان من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يفبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : قوم من أمتي تحابوا على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله انهم لفي نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس) .

والحياة بين المسلمين حياة تملون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان . والتسامح هو الطريق الذي يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء (ولا تنسوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله ولقد كان الرسول الكريم قدوة في ذلك كله .

والإنسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تتنابه الانفعالات المختلفة التي تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصح القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالفداء والعشى يريدون وجهه والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة في مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التي أقرها الاسلام .

وتطلع الانسان الى ما في يد غيره وتطلعه الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الانسان دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة (ولا تتهنؤوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) فان أراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه

شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب في الحاليتين . ومع ذلك فقد يكون ما في يد غيره مقصود به الفتنة وقد عافاه الله منها (ولا تمدن عينيك الى ما متصنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فتستريح نفسه ويشكر الله الذي عافاه من هذا الابتلاء وينعبد نفسه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المفريات ولو كان في حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه ولا يجعل فيه غلا لأحد (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) .

والاسلام يعطى للفرد أهميته ويجعل له مكانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك (كلكم على ثفرة من ثفر الاسلام فلا يؤتين من قبله) وهو بهذا يجعله يثق بنفسه ويبعده عن الأمراض النفسية اذ هي نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الأمل .

وعلاج هذه الأمراض النفسية يكون بالإيمان الذي ينتج عن التربية الدينية الصحيحة .

المسلمون في فترات الشدة :

تمر بالمجتمع الاسلامي فترات شدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون في مواقع فيستولى الحزن على نفوسهم لانتصار اعدائهم عليهم . وحتى لا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المسلم قوى في كل حالاته ما دام ~~بمساعدة~~ لا بالله مؤديا لواجبه وعلى المسلمين ألا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم ألا يحزنوا ولا ييأسوا فهم الأعلون في كل وقت حتى وإن انهزموا فان كل ما لا قوه من صمودية هو في ميزان

حسناتهم ومن استشهد فله الجنة . والى جانب ذلك فان الأعداء قد أصابهم من الشدة مثل ما أصاب المسلمين وما هذه الهزيمة الا اختبار لمدى صبرهم على البأساء والضراء حتى يتبين الصادقون من غيرهم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ولينحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين) .

ثم يطلب الله جلّ شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما لأنه يحس بأن الله معه دائما (ولا تيأسوا من روح الله انه لا يبأس من روح الله الا القوم الكافرون) . ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) . وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التي

يحتاج اليها الانسان . وفي ظلال التربية الاسلامية لا نجد شيئا من الأمراض النفسية التي تجعل حياة الناس حبيسا لا يطاق . وفي ظلال التمسك بالقيم الاسلامية يعيش الناس جميعا في رضا وفي هدوء وفي سعادة ، كل فرد يحس بكيانه يعرف حقوقه وواجباته يحس بأن من في الكون وما في الكون صديق له فالناس أخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معه في سبيل هدف مشترك لخير الناس جميعا والطبيعة كلها مسخرة لمصلحته يستخدمها بالطريقة التي تفيده . وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ويرضى عنه مجتمعه وهذا نهاية ما يؤمله كل مجتمع من المجتمعات التي تريد أن تحيا حياة سعيدة .

بوسكاج في حيساء

الدكتور محمد الدسوقي

١ - فى حياة الرسل والأنبياء والمصلحين والمجددين أيام مشهورة وأحداث بارزة تعكس مبلغ ما بذل هؤلاء من الجهاد والكفاح من أجل أن تسود كلمة الحق والخير ، كما تعكس أيضا سطوة الباطل وحرصه الشديد على التصدى دائما لدعوات الهداية والإصلاح .

وكان خاتم الهداة والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى كل شيء ، وكانت حياته المباركة كلها صفحة مشرقة بجلال الأعمال ، ومن ثم تعد هذه الحياة بلا جدال الأسوة الحسنة للدعاة فى سبيل الله ، والصورة المثلى للبذل والفداء ، والآية الصادقة على أن الإيمان الذى لا تشوبه شائبة ما لا تنال منه أعاصير البقى والكفر مهما قست وطففت ، ولا تزيده الشدائد والمصائب إلا مضاء فى العزيمة وثباتا فى اليقين وإصرارا على الجهاد والتضحية .

٢ - ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الحياة الفريدة فى تاريخ البشرية ، ومهما يكتب الكاتبون فيها فإنها ستظل أبدا فى حاجة إلى مزيد من الحديث عنها ، والكشف عن مثلها وقيمتها الرائعة ، فهى غنية بالمثل والقيم التى يبحث عنها الإنسان فى ظل الحضارة المادية الحديثة ، عله ينجو مما يقاسيه من القلق والاضطراب ، ولكنى - تحية لذكرى المولد الشريف - أقصر الحديث فى إيجاز على يومين من حياة رسولنا الكريم هما :

أ - يوم الطائف .

ب - يوم الفتح .

الرسول صلى الله عليه وسلم

لأنهما وإن تفاوتا من حيث ما وقع فيهما للرسول عليه الصلاة والسلام
تجمعهما صفة الرحمة والرفقة في حياة الرسول العظيم .

٣ — والحديث عن يوم الطائف يقتضى الإشارة الى طرف من الأحداث
قبله ، فقد كانت الجاهلية في مكة منذ صدع محمد بأمر ربه تحاول ما استطاعت
أن تحول بين محمد وما يدعو اليه . وكانت تسوم المؤمنين برسالته كل الوان
الأذى والعنت ، بيد أنها ما كانت تجرؤ على إيذاء الرسول كما كانت تؤذى
أصحابه وأتباعه ، لمكانة عمه أبى طالب في قريش ، ولبطولة هذا العم في
الدفاع عن ابن أخيه (١) . وليس أدل على هذا من موقفه يوم قدم وفد قريش
اليه قائلاً له ! يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهمنا وعاب ديننا وسفسه
أحلامنا وضلل آباؤنا . فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على
مثل ما نحن عليه من خلافه . فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً . وردهم رداً رفيقاً
فانصرفوا عنه ، وهم يحسبون أنه سيقف دون محمد وما يدعو اليه ، ولكن
محمداً مضى في طريقه يبلغ رسالة ربه غير عابئ بما تضعه الجاهلية من
أشواك أمامه وأمام الذين آمنوا به .

وذهب وفد قريش مرة ثانية الى أبى طالب واتسمت لهجتهم في الحديث
معه هذه المرة بالحدة والتهديد بالحرب إن لم يمنع ابن أخيه من سب الآلهة
والآباء ، وتسفيه الأحلام وفتنة الأرقاء والضعفاء ، واحتار الشيخ الوقور بين
مشاعره نحو ابن أخيه واحساسه بالانتماء إلى قومه ، ولم يجد خلاصاً ما هو
فيه من حيرة سوى أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه ما
قالت قريش ، ثم أردف هذا بقوله : ابق على نفسك وعلى ولا تحملنى من الأمر
ما لا أطيق ، وما كاد أبو طالب يلفظ بهذه العبارة في هدوء يشوبه القلق والأسى
حتى استولى على الرسول احساس بأن عمه قد خذله وضعف عن نصرته ،
غير أن هذا الاحساس لم ينل من الإيمان الذي لا يظلب ولا يهين ، فقال الرسول

لعمه تلك القولة التي أصبحت شعارا للفداء وثبات اليقين : يا عماء والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه .. ما تركته (٢) .

ويروى أن الرسول بكى بعد هذا وقام منصرفا ، ولكن عمه ناداه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ، وأنشد :
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا (٣) .
٤ — فلما توفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعث ، وتوفيت بعده بقليل السيدة خديجة رضي الله عنها حزن الرسول لموتها حزنا شديدا حتى سمي العام الذي مات فيه عام « الحزن » .

وبموت أبي طالب وخديجة تتابعت الشدائد والمصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ، فخديجة رضي الله عنها كانت سندا لزوجها بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها (٥) لقد كانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن (٦) اليها فتهون عليه كل شدة وتزيل من نفسه كل خشية ، وأما أبو طالب فقد كان لابن أخيه حمي وملاذا من خصومه وأعدائه ، ومن ثم تجرأت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم بمسد موت عمه وزوجه ، وأسرفت في إيذائه والاساءة اليه ، فقد روى عن ابن مسعود قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد « عليه الصلاة والسلام » إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه .

فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهره ، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة .

فجاءت — وهي جويرة — فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم (٧) .
كما يروى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس الرسول ترابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكي يابنية فإن أنه مانع أباك .. ثم كان يقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب (٨) .

٥ — وضاق الرسول بمكة بعد أن ضاقت به وتنكر له الناس حتى أقربهم إليه وأدناهم منه ، فخرج إلى ثقيف بالطائف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار (٩) ، وبين مكة والطائف نحو خمسين ميلا والطريق وعر ، يخترق سلسلة من الجبال ، وقد قطع محمد صلى الله عليه وسلم هذه المسافة — في ذهابه ورجوعه — على قدمه ، ولم يكن معه غير مولاة زيد بن حارثة ، وحين انتهى الرسول إلى الطائف عمد إلى جماعة من أشراف ثقيف ، ودعاهم إلى الاسلام ، فسخروا منه وهزئوا به ، ومكث الرسول يتردد على منازل القوم

عشرة أيام ، فما رأى منهم جميعا إلا ردا منكرا ، فلما يئس عليه السلام من خيرهم طلب منهم أن يكتموا عليه أمره معهم حتى لا تزداد عداوة أهل مكة له ، وشماقتهم به ، ولكن القوم كانوا أخس مما ينتظر ، فقد قالوا له : أخرج من بلدنا ، ولم يكتفوا بذلك ، فقد حرشوا عليه الصبيان وأغروا به السفهاء والمبيد يسبونهم ويرمونهم بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس في صورة كريمة تبعث على الأسى والألم وزيد بن حارثة يحاول — عبثا — الدفاع عنه حتى شج في ذلك رأسه (١٠) .

وكان الرسول يحاول أن ينفى عن هؤلاء السفهاء الذين تملكتمهم حمى السخريّة والإيذاء ، ولكنهم ظلوا يطاردونه ويركضون وراءه حتى وجد نفسه أخيرا يدخل بستانا ، فانصرفوا عنه ، وقد أدموه وأرهقوه كل أرهاق .

٦ — وأوى الرسول إلى ظل شجرة في بستان ابنى ربيعة بمد هذه المطاردة المؤلمة ، وقد عز عليه ما كان من ثقيف التي سمى إليها يدعوها للتي هي أقوم ، ويلتمس لديها الجوار والنصرة ، فلم يجد منها إلا القسوة والجفوة وسوء الخلق وكان هذا الذي حدث له في الطائف ذكره بما حدث له في مكة فاتجه إلى السماء قائلا : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أم إلى ؟ أن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك (١١) .

٧ — وكان يوم الطائف أو ثقيف لما أومأت إليه أشد الأيام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل عليه السلام يذكر هذا اليوم وما كان فيه من حماقة أهل الطائف ، فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من أحد (١٢) ؟ قال : لقيت من قومي ما كان أشد ، قال : وكان أشد ما لقيت منهم يوم ثقيف ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني السي ما أردت فانطلقت على وجهي وأنا مغموم فلم استفق إلا أنا وبقرن الثعالب (١٣) فرمعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم على وقال : يا محمد : أنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بما شئت فان شئت ان أطبق عليهم الأخشبين (١٤) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا (١٥) .

هذا يوم الطائف ، يوم بلغت فيه الجهالة والضلالة ذروة المنكر والشر ، كما تجلت فيه بعض أخلاق النبي الأمي الذي بعثه ربه رحمة للعالمين وأئني عليه في كتابه المبين بقوله تعالى : وإنك لمعلى خلق عظيم (١٦) .

٨ — ولم يستطع الرسول دخول مكة بعد رجوعه من الطائف حزينا إلا

فى جوار المطعم بن عدى ، فالجاهلية فى تلك المدينة قد اهتبلت تلك الأحداث التى ألت بالرسول فادخلت على قلبه الحزن الشديد . وأخذت تفكر جديا فى قتله وتصيب العذاب صبا على كل من آمن به . فكان دخول مكة بعد يوم الطائف محفوفًا بالمخاطر الجسيمة ، وكان الجوار ضروريا لتجنبها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وأخذت الأحداث تترى بعد ذلك . والكفر لا يدخر وسعا فى عدوانه وطفيفانه والرسول الأمين لا يالو جهدا فى تبليغ ما أمره الله به . ثم كانت الهجرة الى يثرب لا فرارا من البطش والاضطهاد ولكن تحولا إلى بيئة جديدة تصلح للدعوة الخاتمة حتى يمكن أن تقام الدولة وتعد القوة ، حماية للحق وتمكينه ، وردعا للباطل وقضاء عليه ، فالحق بلا قوة تزود عنه فكرة ذهنية مجردة لا تستطيع أن تعيش فى دنيا الناس ، ولهذا خاضت القلة المؤمنة بعد الهجرة ممارك عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة هؤلاء شيئا . وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم من المشركين والمنافقين واليهود . ٩ — وأما يوم الفتح فقد كان فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان قمة الانتصار لدعوة الحق ، وفى هذا اليوم دالت دولة الشرك ، وظهر البيت الحرام من الاوثان والاصنام . ودخل الناس بعده فى دين الله أمواجا . على أن يوم مكة أو فتحها لا يمثل عدوانا على أهلها ، فهم قد نقضوا ما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، إذ كان من مبادئ هذا الصلح أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده (١٧) .

ودفعت سورة الحقد الجاهلى قريشا وحلفاءها من بنى بكر الى مهاجمة خزاعة — وهى مع المسلمين فى حلف واحد — وقتلوهم فأصابوا منهم رجالا وانحازت خزاعة الى الحرم ، إذ لم تكن متأهبة لحرب ، فقبضهم بنو بكر يقتلونهم وقريش تدمهم بالسلاح وتمينهم على البغى (١٨) .

١٠ — وفزعت خزاعة ، لما حل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرهم بها أصابها وبما كان من تحالف قريش مع بنى بكر عليها ، بالاضافة الى أن ما قامت به قريش نقض صريح للعهد ، ولا سبيل إلى نصر خزاعة والرد على نقض العهد الا بإعداد الجيوش لفتح مكة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولم يمض وقت طويل حتى كان المسلمون قد تجهزوا للسير نحو مكة ، ولم تنجح محاولات قريش فى اقناع الرسول بالعدول عن عزمه ، ولم يترك الرسول لأهل مكة الفرصة حتى يستعدوا للقائه ، حرصا منه عليه السلام على أن يباغت القوم فى غرة منهم فلا يجدوا له دفعا فيسلموا من غير أن تراق الدماء ، ولذلك كانت أوامر الرسول للقواد الا يحاربوا أو يسفكوا الدم الا اذا أكرهوا على ذلك ، ليدخل المسلمون البلد الحرام آمنين مطمئنين ، وليظل

لهذا البلد قدسيته وحرمة فلا يخاف فيه انسان ولا تزهق فيه أرواح . ولذا يروى أن زعيم الأوس سعد بن عبادة حين ذكر ما فعل أهل مكة وما فرطوا في جنب الله ، وأدرك أنهم لا حول لهم أمام قوة المسلمين صاح قائلاً : اليوم يوم المحمة ، اليوم تستحل الحرمه . وبلغت هذه الكلمة مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر بنزع اللواء من سعد ، ودفعه الى ابنه مخافة أن تكون لسعد صولة في الناس (١٩) .

١١ — وكان جيش المسلمين نحو عشرة آلاف مجاهد . وقد دخل هذا الجيش مكة دون مقاومة او قتال اللهم الا ما كان من الفرقة التي قادها خالد ابن الوليد ، فقد اعترض لها بعض المشركين ، ولكنهم لم يصمدوا أمام بأس خالد ورجاله وولوا منهزمين .

وبعد أن أخذ الرسول الكريم حظاً قليلاً من الراحة في قبته التي ضربت له على مقربة من قبري أبي طالب وخديجة امتطى ناقته القصواء ، وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالببيت سبعا ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ، فوقف الرسول على بابها وتكاثر الناس في المسجد فخطبهم قائلاً : يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وادم من تراب ، ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير » ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء (٢٠) . وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وأهل مكة جميعاً ، وهو عفو لا يصدر الا عن قلب كبير لا يعرف غير الحب والتراحم والرأفة ويزيد من جلاله وروعته صدوره في لحظة القوة والغلبة ، فالقوى الذي ينتصر من الضعيف أضعف الضعفاء ، والقوى الذي يصفح عن عدوه وهو قادر عليه أرحم الرحماء وأشرف الأقوياء .

١٢ — وبعد فهذه كلمة موجزة عامة عن يومى الطائف والفتح ، وفيهما تجلت عظمة الرسول الانسان الذي جاهد في الله حق جهاده ، والذي تحمل ما تحمل من المشقات في سبيل انقاذ قومه من دياجير الكفر والوثنية ، وما كان يؤله إيذاء قومه له بقدر ما كان يؤله عكوفهم على أصنامهم وجاهليتهم وعدم إيمانهم بما جاءهم به من عند ربه ، لأنه يعلم أن مآلهم بهذا الضلال والعناد جهنم وبئس القرار ، ولذلك كان عليه السلام في ساعات العسر والبسر ولحظات الهزيمة والنصر الانسان الرحيم الذي بلغ الذروة في الحب والعفو والصفح ، والذي واجه الاذى والاضطهاد بالأغضاء والدعاء بما هو خير كما حدث في يوم الطائف ، فلم يشأ أن ينزل العقاب المدمر بهؤلاء السفهاء ، وإنما رجا الله تبارك وتعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبدّه وحده .

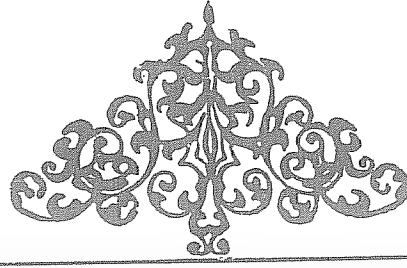
وفى يوم الفتح وقف أمامه في ذلة وضعف من كانوا بالأمس يأتهمون به ليقتلوه ، ومن أساءوا اليه وإلى أصحابه اساءة تجاوزت كل حد ، وكان عليه السلام يستطيع أن يعاقب هؤلاء القساة الظالمين ولا جناح عليه في

ذلك، فجزاء سيئة سيئة مثلها، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة
تغفو عن ظلم وتدفع دائما بالتى هي احسن . وهذا بعض اسرار العظمة
الانسانية فى حياته عليه السلام .

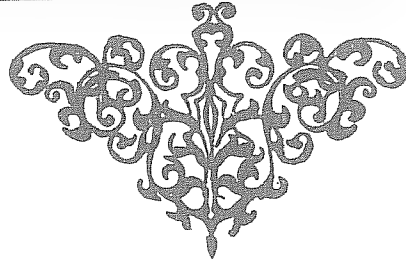
لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيمًا عظيمًا فى ضعفه وقوته ،
ما عرف الانتقام سبيلا الى مؤاده ، وما جازى مسيئًا باساءته ، وما حرص
على شىء حرصه على أن يخرج قومه من الظلمات الى النور ، وصدق الله
العظيم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رعوف رحيم » (٢١) .

فما أجدر الدعاة والقادة والحكام والناس كافة أن يسترشدوا بسيرة
هذا النفسى الانسان الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهى كلها دروس رائعة تنير
معالم الطريق نحو حياة انسانية كريمة تليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله
خليفة له فى أرضه وصدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢٢) .

- (١) فقه السيرة للاستاذ محمد الفزالى ص ١٢٩ .
- (٢) فقه السيرة ص ١١٤ .
- (٣) فقه السيرة ص ١١٥ .
- (٤) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ٢ ص ١٢٢ .
- (٥) حياة محمد لهيكل ص ١٨٦ .
- (٦) السيرة النبوية لابن كثير .
- (٧) فقه السيرة ص ١٢٩ .
- (٨) أنظر سيرة ابن هشام م ١ ص ٤١٦ .
- (٩) على هامش السيرة ٣ ص ١٤٠ .
- (١٠) فقه السيرة ص ١٢٩ .
- (١١) السيرة لابن هشام م ١ ص ٤٢١ .
- (١٢) فى أحد كسرت رباعية الرسول وجرح وجهه وكسرت البيضة على راسه ، واصيبت
ركبته فضلا عن استشهاد عدد كثير من الصحابة ومنهم حمزة عم النبي صلى الله عليه
وسلم (أنظر امناح الاسماع للمقرئى ه ١ ص ١٢٥) .
- (١٣) موضع تلقاء مكة على مرحلتين منها . (١٤) الاخشيان : جبلان بمكة .
- (١٥) الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد الجبر ص ٩٨ .
- (١٦) الآية ٤ فى سورة القلم .
- (١٧) السيرة لابن هشام م ٢ ص ٣٩٠ .
- (١٨) فقه السيرة ص ٤٠٣ .
- (١٩) المصدر السابق ص ٤١٢ .
- (٢٠) السيرة لابن هشام ، م ٢ ص ٤١٢ .
- (٢١) الآية ١٢٨ فى سورة التوبة .
- (٢٢) الآية ٢١ فى سورة الاحزاب .



أساليب التّعليم عند المسلمين



للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

أهلها ممن أسلموا أصول الدين
وقراءة القرآن .

وما أعظم قوله تعالى « هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ففي
هذه الآية الكريمة أبلغ دلالة على
فضل العلم وأهميته ، كما أمتدح
سبحانه أهل العلم وفضلهم على
غيرهم درجات . وكان هذا حافزا
للمسلمين على مواصلة العلم وطلبه
مهما لاقوا من صعوبات وما صادفوا
من عقبات لأن العلم ينير العقول
ويشرح الصدور ويرفع من مستوى
الإنسان ويجعله قادرا على أن يميز
بين الخير والشر . وهكذا وجهت

شجع النبي عليه الصلاة والسلام
المسلمين على طلب العلم وامتدح من
يتعلم القرآن الكريم والفقه وأثنى على
من يعلم جيرانه ، وبعث الرسول إلى
يثرب مصعب بن عمير بن عبد مناف
ليعلم الاثنى عشر مسلما من الانصار
ممن بايعوه في العقبة الاولى امور
دينهم ويقرأ عليهم كتاب الله ويفقههم
في امور الشريعة . ويؤمنهم في
صلاتهم ، كما استخلف عتاب بن أسيد
على أهل مكة ليعلمهم القرآن ، كما
أرسل عمرو بن حزم الخزرجي إلى
نجران ليفقه أهلها في الدين ويعلمهم
القرآن المبين ، وبعث أبا عبيدة
عامر بن الجراح إلى بلاد اليمن ليعلم

دعوة الاسلام العرب الى التفقه في الدين وطلب العلم وتنافسوا في هذا السبيل ورحلوا من مكان الى مكان للاستماع للعلماء والمحدثين فصقلت عقول العرب المسلمين واستنارت مُتدنتهم ونمت مواهبهم وازدادوا ثقافة وعلماً فكان لهذا أكبر الاثر في تمدنهم وتحضرهم .

وكان القرآن الكريم هو المصدر الاول لعلوم اللغة والدين فأقبل المسلمون على قراءته وفهم معانيه والاقباس من محكم آياته ومن أساليبه البليغة وعباراته الفصيحة مما رفع مستوى العقول العربية وزاد من ثقافة العرب ووسع مداركهم إذ عرفوا كثيراً من قصصه فعلموا أخبار الأمم والشعوب السابقة ، وأسهمت دراسة الكتاب الحكيم في تقدم علوم النحو والبلاغة وظهرت طبقة من القراء والمفسرين الذين فهموا تفسير القرآن وأسباب نزوله كما أصبح البعض قادراً على استنباط الأحكام التي كانت الخطوة الاولى لنشأة علم الفقه وبحوثه .

كما اهتم المسلمون فيما بعد بجمع الحديث النبوي الذي يضم شرحاً للعبادات وتفصيلاً لما جاء في القرآن من أحكام المعاملات والتشريع والجنايات ، كما أن الحديث حوى كل ما يتعلق بحياة النبي في مكة وحياته في المدينة بعد هجرته اليها وغزواته ، وأعمال الخلفاء والفتوحات التي تمت في عهدهم مما عرف بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وكان المنطلق لعلوم التاريخ والأساس الذي سار عليه المؤرخون في كتب المغازي التي اتبعت نظام الرواية بنفس طريقة الحديث .

وهكذا كانت علوم الدين أول

العلوم التي اشتغل بها المسلمون وكان القرآن تدوينه وتفسيره والحديث وروايته والفقه أول العلوم التي مارسها المؤمنون ، وجاء بعدها الاهتمام بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة . وظل الحال كذلك في العصر الأموي حيث كانت مسائل العلم تدور حول القرآن وتفسيره ، وعلم الحديث وشرحه ، بل أن علم النحو نفسه جاءت كتابته ووضع قواعده بعد أن كثر اللحن بين الناس .

أما في العصر العباسي فقد ظهرت الى جانب علوم الدين واللغة التي عرفت باسم العلوم النقلية علوم مستحدثة عرفت بالعلوم العقلية كدراسة الطب والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها ، وقد أوضح ابن خلدون في مقدمته هذين النوعين من العلوم بقوله : « إن العلوم صنفان : صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عن غيره وضعه . والاول هي العلوم الحكمية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة تفكيره . ويهتدى بمداركة البشرية الى موضوعاتها ومسائلها ، وانماء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتى يوقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر ، والثاني هي العلوم النقلية لوضعية ، وهي كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول . »

وقد وصلت الى العرب العلوم العقلية متطورة منظمة فلما ترجمت كادت تكون مكتملة ، ولم يكن أمام المؤلفين الا دراسة هذه العلوم وتمحيصها والعمل على تحسينها بما توصلوا اليه من تجربة ودراسة

وتطبيق . وكان التطبيق والتجربة وامتحان الحقائق عمليا هو طريق علماء المسلمين في البحث وبهذا سبقوا المفكرين الأوروبيين ووضعوا أصول العلم والدراسات التجريبية ونقدوا الاخطاء وتوصلوا الى الصواب .

المساجد معاهد للعلم :

وكان مسجد الرسول في المدينة مكانا للدراسة كما ظل كذلك أيام الخلفاء الراشدين والامويين حيث كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المبين ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين . وكان ربيعة الرأي يجلس في مسجد النبي بالمدينة ويلتف حوله التابعون . وكذلك كان الحال في مسجد البصرة حيث كان يجلس الحسن البصري ويشرح بأسلوب قصصى ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد ويتقن اللغة العربية وقد حدث هذا في مسجد عمرو بالفسطاط بمصر .

وأصبح مسجد عمرو بن العاص في مصر المدرسة الاولى لتعليم اصول الدين وعلومه ففي رحابه جاء الصحابة والتابعون ليشرحوا ويفسروا القرآن ويوضحوا الاحكام الشرعية ، وعلى رأسهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن حبيب والليث بن سعد ومحمد بن ادریس الشافعي ممن أخذ عنهم أهل مصر أمور دينهم .

ولما أسس جوهر الصقلي الجامع الأزهر ليكون مركز الدعوة الفاطمية كان المسجد معهدا تعقد فيه حلقات العلم ودروسه وكلف العزيز بالله الخليفة الفاطمي وزيره يعقوب بن كلس ليرعى العلم فصرف الوزير كل

جهوده ليصبح الأزهر أعظم المساجد والمعاهد العلمية في عصره ولينافس بغداد ومعاهدها العلمية ورصد الأموال للدارسين والاساتذة ووفر لهم العيش الكريم والحق بالجامع مكتبة فخمة .

كما أصبحت دار العلوم التي أنشأها العزيز بالله مكانا للبحث العلمي .

وضمت مكتبة الأزهر أنفس المخطوطات من كل مكان فانصرف الطلبة والباحثون للدراسة والتأليف مما ظهرت آثاره واضحة في الانتاج الأدبي والتاريخي الذي ظهر فيما بعد في انتاج الموسوعات الادبية مثل صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي . والخطط للمقريزي الذي يعتبر مرجعا تاريخيا وجغرافيا ومعماريا عن مساجد مصر وآثارها ومدارسها وعماثرها .

واعتمد نظام التدريس في الأزهر على نظام الحلقات حيث كان الاستاذ يقف ويحاضر أمام تلاميذه ويبسط النقاش والجدل ، ويعهد لكل طالب بكتابة بحث ودراسة موضوع معين وهذا ما يعرف في أيامنا بالرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراة فكان الجامع الأزهر أول جامعة دينية وعلمية تبتكر هذا الأسلوب وتصبح تيسرا للجامعات في العصور الوسطى بأوروبا .

وقد حاضروا في هذا المعهد العتيق نوابغ الاساتذة وفحول الطلاء أمثال العالم المؤرخ ورائد علم الاجتماع ابن خلدون ، كما تولى التدريس به عبد اللطيف البغدادي الرحالة والمؤرخ المشهور الذي قال أنه التقى به دروسا في الطب ، وشارك في هذه المحاضرات أئمة الحديث أمثال الشافعي والبخاري والغزالي ومن

الشعراء أبو ناس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وغيرهم .

وقد أنتمشت الحركة العلمية في مصر وأينمت بسبب هجرة كثير من علماء المشرق خاصة بعد سقوط بغداد في يد المغول كما نزح الى مصر علماء من الأندلس وقد حضر هؤلاء وحملوا الى مصر مؤلفاتهم وأفكارهم فأسهموا في تطوير النهضة الأدبية والفكرية في البلاد .

وتعتبر مكتبة الفاطميين لا نظير لها في العالم حيث كانت تضم زهاء مليون وستمائة ألف مجلد ومن بينها ستة آلاف وخمسمائة كتاب في الرياضيات وثمانية عشر ألف في الفلسفة .

هذا بخلاف المكتبة التي أسسها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي والتي كانت تشغل ثمانى عشرة قاعة للدراسة والإطلاع .

ومن أعظم علماء الطبعة الذين ظهروا في مصر الحسن بن الهيثم الذي استدعاه الخليفة الحاكم الى مصر لينظم فيضان النيل والذي ابتكر نظريته الخاصة بالأشعة والانكسار التي تعتبر نقطة تحول في أبحاث العالم في علم الضوء كما اكتشف أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها عدا القمر الذي يستمد نوره من الشمس . وأدرك هذا العالم المصري أخطاء علماء اليونان وقال ان العين لا ترسل أشعة بصرية بل العكس هو الصحيح فان الجسم المرئى هو الذى يرسل أشعة الى العين وأن عدسة العين هي التي تحولها . وهكذا أثبتت الأبحاث صحة نظرية ابن الهيثم الذي يعتبر واضع أساس النظرية التجريبية وقد سبق بهذا العالم الأوروبي روجر بيكون الذى ينسب اليه الأوروبيون وضع الأبحاث التجريبية .

ولم تقتصر أبحاثه على هذا بل أوجد رأييه الخاص بمصادر الضوء وأوجد دراسة خاصة بطبيعة القاء الظل كما سماها وأول تجربة قام بها هي الخاصة بجهاز يشبه آلة التصوير الذى أثبت عن طريقه استقامة خطوط الضوء وأوجد تظليلا لانكسار الأشعاعات عندما تمر خلال وسيط كالهواء وطبق معلوماته على أجهزة البصريات وحسب الانعكاس في قطاع المرآة الكروية واهتدى الى قوانين كشف الضوء ومعظم نظرياته في الطبيعة ظلت مسيطرة على هذا العلم في أوروبا حتى القرن الحالى .

كما ازدهرت الحركة العلمية في مصر أيام الأيوبيين والمماليك إذ وجه صلاح الدين الأيوبي عنايته الى انشاء المدارس السننية لتولى تعليم الناس الفقه السننى وكانت هذه المدارس هي الطريق الى الدراسات العليا في المعاهد العلمية كالآزهر الذى أصبح جامعة لدراسة الشريعة الإسلامية والمذاهب الأربعة المعروفة الى جانب قيامه بحفظ التراث الإسلامى وحمل مشعل الثقافة الدينية واللغوية وعلوم التاريخ والجغرافيا والطبيعة والفلك والاحياء وغيرها .

الاجازات العلمية :

وفي حلقات المساهد الجامعية تكون المرحلة النهائية للدراسة حيث تعقد بها حلقات في الفقه وثانية في اللغة وثالثة في النحو ورابعة في الحديث وللمتعلم أن ينضم الى أى حلقة وله أن يختار أى أستاذ يشاء ، فإذا وجد الطالب في نفسه المقدرة جلس مكان المعلم ليناقشه العلماء فإذا أثبت جدارة وكفاية صار من حقه أن يرأس إحدى الحلقات .

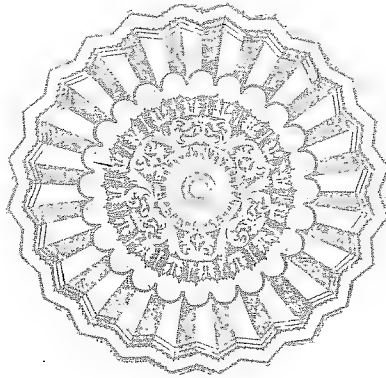
ولم تكن الشهادات العلمية معروفة في صدر الإسلام فكان الطالب يسعى لطلب العلم إذا اتاحت له فرصة من فراغ وإذا كان يحترف العلم واطلب على حضور حلقات الدرس ليكون جديرا بمهنة المعلم التي يسمى للوصول اليها والتي تحتاج منه لعلم ومنطق ومقدرة للوقوف أمام الطلبة والاجابة على اسئلتهم المخرجة وإذا استطاع هذا حق له أن يتصدر حلقات العلم وعندها يتأكد المدرس من استيعاب الطالب للمعلم كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب الذي عهد إليه بدراسته يبين فيها أن الطالب قد أتم قراءة الكتاب وأجاز له تدريسه .

وتدل الاجازة العلمية على المستوى العلمى الذى وصل اليه الطالب ولا تمنح الاجازة الا لذوى المعرفة الذين تهىء لهم اجازة تدريس

الكتاب المجاز به أو رواية الحديث المأذون لهم في روايته ، ويشترط للمجيز أن يكون عالما بما يجيز وثقة في دينه ، معروفا بالعلم وأن يكون المستجيز من أهل العلم متنسها بسمه حتى لا يوضع العلم الا عند أهله .

هذه هي الأساليب العلمية التي بدأت بالمساجد والقصور والمدارس والتي كانت قبسا للجامعات الأوروبية التي سارت في نظامها على هذه الطريقة خاصة حينما نشأت الجامعات في انجلترا .

وبهذا كان المسلمون هم رواد الحركة العلمية والبحث وواضعى أساس النظام التجريبي في البحث العلمى التي أدت الى النهضة العلمية التي ينعم بها الانسان وأسهمت في تنمية المعرفة وازدهار العلوم والفنون وأدت الى التقدم العلمى الذى وصلت اليه البشرية في العصر الحديث .





الأصل والنشأة :

وينتسب العيني الى بلدة عينتاب التي ولد فيها عام ٧٦٢ هـ (١٢٦٠ م) وكانت هذه البلدة تعتبر فى ذلك الوقت من اعمال مدينة حلب وهى اليوم واقعة فى الاراضى التركية المتاخمة للحدود الشمالية لسوريا . وينتمى صاحبنا الى أسرة عربية ذات علم وفضل كانت تقيم فى حلب ثم انتقلت منها الى عينتاب ، حيث عين والد العيني القاضى شهاب الدين احمد قاضيا فيها من قبل ممثلى دولة المماليك التى كان معظم المشرق العربى آنذاك موحدا تحت رايها . وقد تأثر العيني ببيئته العلمية التى هبات له فرصة الاطلاع والتعلم فتلقى العلوم على والده وعلى غيره من الشيوخ فى عينتاب وأظهر تفوقا مبكرا فيها حتى أنه استطاع فى

— صاحب الموسوعة الضخمة فى التاريخ التى لم تنشر بعد .
— ومؤلف عمدة القارى فى شرح البخارى .
— والعالم الذى قربه السلاطين فحسده أقرانه .
.....

ذلك هو العيني محمود بن أحمد ابن موسى الملقب ببدر الدين أو البدر على ما هو معروف ومشهور . ويعتبر البدر العيني من أشهر مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، على كثرة ما ظهر بمصر فى هذا القرن من المؤرخين الموسوعيين أمثال القلقشندى والمقريزى وابن تفرى بردى وابن حجر والسخاوى وابن الصيرفى وابن عرشاه وابن اياس والسيوطى وغيرهم .

العيني وفيما لشيوخه وأساتذته طوال حياته حتى أنه وضع لهم ترجمات في كتاب أسماه « معجم الشيوخ » اعترافا بفضلهم .

بداية الشهرة :

لكن الشهرة التي نالها البدر العيني لم تبدأ الا عام ٧٨٨ هـ عندما التقى في القدس وهو في طريقه لاداء فريضة الحج بشيخ علماء ذلك العصر علاء الدين علي بن أحمد ابن محمد السيرامي الذي كان يعتزم الحج أيضا ، فأعجب به العيني وقرر ملازمته وسافر معه بعد اداء الفريضة الى القاهرة حين دعاه السلطان الظاهر برقوق للتدريس بمدرسته البروقية التي كانت أحد المراكز العلمية الهامة في مصر آنذاك، وبقي العيني على هذه الحال حتى تهيأت له جملة أسباب قربته الى عدد من امراء المماليك وسلاطينهم الذين نال عند معظمهم الحظوة والمكانة ، وساعده على ذلك ما كان يتحلى به من علم وفضل وثبات على الولاء والطاعة للسلطان برقوق في اثناء محاصرة التركمان لعينتاب ، فضلا عن اتقانه التركية التي كانت اللغة الرئيسية للسلاطين والامراء وبعض الخاصة في ذلك الوقت ، واستطاع البدر العيني ان يحتل بذلك مكانة رفيعة في بلاط ثلاثة من سلاطين المماليك

شبابه ان يتولى القضاء نيابة عن والده وأن يجيد القيام بالاعباء الموكله اليه .

ولما كان التعليم في ذلك الوقت لا يكتهل لطالبه الا بشد الرجال للأخذ عن مشاهير العلماء والرجال ، فقد ارتحل العيني من أجل هذه الغاية الى حلب ودمشق والقدس ومكة المكرمة والقاهرة ، حيث اتصل بكبار العلماء والفقهاء في هذه الحواضر وأخذ عنهم وسمع منهم . وكان من شيوخه وأساتذته علاء الدين السيرامي وزين الدين العراقي وسراج الدين البلقيني وجمال الدين الملطي وحسام الدين الرهاوي وعيسى بن الخاص وغيرهم كثير .

وقد منحه معظم هؤلاء العلماء بعد التثبت والاختبار اجازات علمية « أهله للافتاء في الواجهات المعضلة والحادثات المشككة والتدريس والتعليم والتبليغ والتفهيم والتذكير من تفسير القرآن الكريم ورواية الحديث بالاتفاق لكونه للمنزول أهلا وسلوك الطريقة سهلا على ما قرره أستاذه عيسى بن الخاص في اجازته له ، كما مهدت هذه الاجازات للعيني الطريق الصعب نحو الشهرة والمجد وسط مجتمع زاخر بالمشاهير من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين كانوا بحق الشعلة المضيئة في عصر سادته التدهور في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وظل

بالأمراء والسلاطين ثانيا أن يتقلد أرفع المناصب فى مصر ، فتولى حسببة القاهرة مرات ومرات وعرف بالنزاهة والشدة فى أثناء مباشرته هذا المنصب إذ « كان يعزر من يخالف أمره بأخذ بضاعته غالبا واطعامها للفقراء والمحاييس ، وبذل جهودا كبيرة فى ضبط أسواق القاهرة ومراقبتها فكان ينام فى المراكب غالب الليالى ولا يقطع الركوب ليلا ونهارا حتى طاب الوقت وحسنت الحال » كما تقلد منصب « نظارة الاحباس » أى الاشراف على الاوقاف الخيرية ، وولاه برسبای بالإضافة الى هذين المنصبين منصب قاضى قضاة الحنفية ويقال فى هذا الشأن إنه « لم يجتمع القضاء والحسبة . ونظر الاحباس فى أحد قبله » .

جهوده العلمية :

وبرغم كثرة مشاغل العينى التى استدعتها طبيعة الوظائف الهامة التى شغلها فإنه لم ينقطع عن الاطلاع والتدريس والتأليف ، واستمر فى تدريس العلوم الدينية فى المدرسة المؤيدية طوال أربعين سنة ، ومارس التدريس أيضا فى مدرسته « العينية » التى انشأها لهذا الغرض النبيل بالقرب من الجامع الأزهر ، وأوقف عليها الكثير من كتبه القيمة التى يضيق المقام عن ذكرها ، لكثرة ما خلفه البدر العينى من المؤلفات الموسوعية والشروح الطويلة التى أربت على الأربعين وتراوحت بين التاريخ والفقه والحديث واللغة والأدب إضافة الى مؤلفاته باللغة التركية نفسها . ومن المؤسف أن كتبه المطبوعة لا تتجاوز السبعة هى « البناية فى شرح الهداية ، للامام المرغينانى » « ورمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق للنسفى » « والروض

الجراكية هم المؤيد شيخ المحمودى والظاهر ططر والسلطان الاشراف برسبای ، ويبدو أن العينى كان يعرف من أين تؤكل لحم الكتف فوضع لكل من السلاطين الثلاثة كتابا اشاد فيه بسيرته فكان الاول بعنوان « السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » نشر عام ١٩٦٧ ، والثانى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) مطبوع .

والثالث فى سيرة الاشراف برسبای لا زال مفقودا ، كما وضع القصائد الكثيرة فى مدحهم . وتحدثنا المصادر أن العينى كان من اخصاء السلطان المؤيد وندمائه فولاه المناصب الرفيعة وعهد اليه بتدريس الحديث فى المدرسة المؤيدة واختاره سفيرا للدولة القرمانية التى كانت تدين بالسواء الاسمى لدولة المالك ، كما علت منزلته عند السلطان ططر لصحبة قديمة كانت بينهما ، وقام العينى بترجمة كتاب القـدورى فى فقه الحنفية الى اللغة التركية بناء على رغبة هذا السلطان ، وزادت مكانته لدى السلطان الاشراف برسبای الذى لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العينى يجلس الى حضرته ساعات من الليل يعلمه أمور الدين ويفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه موسوعته التاريخية التى كتبها بالعربية وهى « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ثم يترجمها له السى التركية رأسا لتقدمه فى اللغتين كما يقول السخاوى ، وقد اعترف برسبای بفضل العينى حتى حكى أنه كان يقول « لولا البدر العينى لكان فى اسلامنا شىء » .

العينى يتقلد أرفع المناصب .

وقد هيات له مكانته العلمية الراسخة أولا وعلاقاته الوطيدة

الزاهر فى سيرة الملك الظاهر «
« والسيف المهند فى سيرة الملك
المؤيد » « وعمدة القارى فى شرح
البخارى » « والمقاصد النحوية فى
شرح شواهد شروح الالفبسة »
« وفوائد القلائد فى مختصر شرح
الشواهد » .

وقد أورد السخاوى قائمة طويلة
بأسماء الكتب والرسائل الأخرى التى
صنفها العيني بعضها منقود والبعض
الآخر لا يزال مخطوطا وموزعا فى
عدد من مكتبات العالم . ومن أهم
كتبه المخطوطة موسوعته التاريخية
الكبيرة « عقد الجمان فى تاريخ أهل
الزمان » وشرح سنن أبى داود
وتحفة الملوك فى المواعظ
والرفائق ، والدرر الزاهرة فى شرح
البحار الزاهرة للرهاوى ، والعلم
الهيىب فى شرح الكلم الطيب لابن
تيمية ، ومنحة السلوك فى شرح تحفة
الملوك ، ونخب الأفكار فى شرح
معانى الآثار ، وقد لاحظ السخاوى
كثرة مؤلفات العيني فقال أنه « كان
لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب
بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا
أعلم بعد شيخنا (ابن حجر) أكثر
تصانيف منه » . ومع ذلك فإن
موسوعته عقد الجمان وعمدة القارى
تعتبران من أهم ما خلفه العيني
للمكتبة العربية . ويبدو أن دعوة
الدكتور زبادة قد لقيت أخيرا
استجابة فى القاهرة ، حيث يقوم
الدكتور أحمد دراج بتحقيق قسم من
عقد الجمان يبدأ من النصف الثانى
للقرن الثامن الهجرى وذلك بمركز
تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان :

ويتألف هذا الكتاب الضخم فى
الأصل من تسعة عشر مجلدا ومنه
نسخة فى دار الكتب المصرية مصورة
عن نسخة استانبول تقع فى تسعة
وستين مجلدا . وقد اتبع العيني فى

تاريخه الترتيب السنوى على عادة
معظم المؤرخين المسلمين فى كتابة
الحوليات ، وانتهى به الى عام ٨٥٠ هـ
(١٤٤٦ م) فجاء تاريخا شاملا
لأخبار مصر الاسلامية حتى تلك
السنة ، وقد اعتمد فى تأليفه على
تاريخ ابن كثير واعترف صراحة بذلك
حين قال عنه « وهو عمدة تاريخى
هذا الذى جمعته » . ويعتبر القسم
الآخر منه أهم أجزاء الكتاب وذلك
لأنه يغطى حوادث العصر الذى عاشه
العيني ووعاه وشارك فى بعض
وقائعه وأحداثه ، ومن هنا كان هذا
القسم الذى يشمل الفترة الواقعة
بين ٧٢٥ — ٨٥٠ هـ سجلا عاما يصور
المجتمع الذى ورثه العيني وعاش
فيه . ويحتوى هذا القسم على أخبار
دولة المماليك الجراكسة وحروبها
وعلاقاتها الخارجية بالإضافة الى
ظواهر المجتمع وطبيعة جهاز الحكم
فيه وما أصاب الناس فى تلك الفترة
من أوبئة ومجاعات هزت الحياة
الاجتماعية والاقتصادية للناس واثرت
فيها . فضلا عن أن هذا القسم يضم
الكثير من المعلومات المتعلقة بحياة
العيني وذويه مما لا يستغنى عنه
باحث فى سيرة هذا المؤرخ الفقيه .
وقد اعتمد عليه ابن حجر فى كتابه
إنباء الغمر بابناء العمر برغم المنافسة
الحادة التى كانت قائمة بينهما .
وذكر ابن حجر ذلك بصريح العبارة
حين قال « كتبت منه ما ليس عندي
مما أظن أنه أطلع عليه من الامور
التى كنا نغيب عنها ويحضرها » .
ومن هنا كان عقد الجمان وابناء الغمر
يكمل أحدهما الآخر فى كثير من
المواضع . وقد لفت المرحوم الدكتور
محمد مصطفى زيادة الانتظار الى
أهمية تاريخ العيني وقال « ان هذا
الكتاب من أعظم ما كتب العيني فى
التاريخ ، وهو كذلك من أهم ما
أهمله القوامون على نشر المخطوطات
العربية واحياؤها حتى الآن . »

عمدة القارى فى شرح البخارى :

أما الكتاب الآخر الشهير للعينى فهو « عمدة القارى فى شرح البخارى » فى واحد وعشرين مجلداً ، وقد جاء تصنيفه فى وقت كان فيه العلماء والفقهاء يشعرون بحاجة الى شرح الجامع الصحيح للبخارى شرحاً وافياً . وقد سبق العينى فى انجاز هذا العمل الكبير العلامة الشهير ابن حجر العسقلانى بأربع سنين مما جعل البدر العينى يستفيد من شرح ابن حجر المعروف « بفتح البارى فى شرح البخارى » وينقد كثيراً من آرائه ويعترض عليه . وقد انبرى ابن حجر للرد على اعتراضات العينى وتعريضه به ووضع فى ذلك كتاباً لم يتمه ، فكان ذلك من الامور التى اوجدت جفوة كبيرة بين العالمين لم تلبث ان انتقلت الى تلاميذهما الذين عملوا على تعميقها . وبرغم ان شرح العينى للبخارى لم يحقق الانتشار والشهرة اللتين حققهما شرح ابن حجر الا ان عمدة القارى جاء ايضا حافلا على حد قول السخاوى أشهر أنصار ابن حجر . وقد اتبع العينى فى تصنيفه طريقة البسط والايضاح واعطاء الاحاديث النبوية حقها من البحث والتحصيل فيتم سياق الحديث اذا اختصره البخارى ويذكر اختلاف الرواة اذا كان هناك اختلاف ، ويستوفى الكلام فى ذكر الرجال وضبط الاسماء والانساب ، ويفصل معانى الكلمات ووجوه الاعراب وينتهى الى استخراج المعانى واستنباط الاحكام . ولا يزال شرح ابن حجر وشرح العينى للبخارى يعتبران بحق من أهم المراجع التى يعتمد عليها المحققون وعلماء الشريعة فى دراسة صحيح البخارى . وقد اثار الاختلاف العلمى الذى وقع بين العينى وابن حجر

اهتمام عدد من الباحثين والمستشرقين بينهم بروكلمان وجلودسيهر . كما حاول المرحوم الشيخ عبد الرحمن البوصيرى التوفيق والفصل بينهما فى كتابه المعروف باسم « مبتكرات الالى والدرر فى الحساكمة بين العينى وابن حجر » .

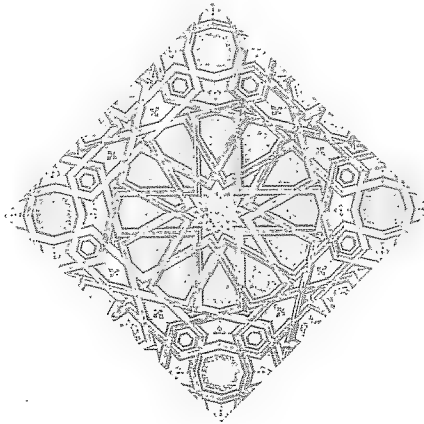
تنافس المتعاصرين :

لكن هذا الاختلاف بين الرجلين يظل فى جوهره مظهراً من التنافس المعروف بين العلماء المعاصرين وبخاصة أن عصر العينى حفل كما ذكرنا بالعديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكبار الامر الذى جعل فرصة التقدم وسطهم لا تتوفر الا لذوى القدم الراسخة والجهد العلمى المتواصل . وقد نشأت بين البعض منهم منافسات حادة بلغت حد التشهير يهنا منها ما كان بين العينى وابن حجر والسخاوى والمقرئى . ويرجع سبب هذه المنافسات الى حسد أقران العينى اياه على ما بلغ من حظوة ومكانة لدى الإمراء وما ناله من مناصب رفيعة كانوا يطعمون فيها ويرون أنهم أحق منه بها كما كان الحال بالنسبة للمقرئى الذى حل العينى محله عدة مرات فى تولى منصب الحسبة . وأمثال هذه الخصومة وان كانت مما يؤسف له الا انها معروفة ومألوفة بين العلماء المتعاصرين يقف الباحث منها موقف الحذر الشديد : وقد نبه الى ذلك ابن عباس بقوله « لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض » .

ومع ذلك فقد أنصف العينى كثير ممن عاصروه أو جاءوا بعده واعترفوا بمكانته العلمية الرفيعة ، وذكر أبو المحاسن ابن تغرى بردى أن زعامة المؤرخين كانت قبله فى البدر العينى

الذى وصفه بأنه « كان بارعا فى عدة علوم مفتيا كثير الاطلاع واسع الباع فى المعقول والمنقول ، قل ان يذكر علم الا وله فيه مشاركة جيدة . واثاد به السخاوى برغم تعصبه لاستاذه ابن حجر ، ووصفه بأنه « كان اماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها حافظا للتاريخ واللغة مشاركا فى الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا اكثر تصانيف منه ، واشتهر اسمه وبعد صيته مع لطيف العشرة والتواضع ، كما تتلمذ عليه وأخذ عنه جمهور من المتعلمين نبغ منهم بعده غير واحد وكان لهم مثله فضل فى حمل شعلة الثقافة والعلم . وقد ظل العيني وقيا لرسالته العلمية ، حتى

وفاته اذ بقى يمارس التدريس والتعليم فى مدرسته العينية ، الا ان الحال قد ضاقت به فى أواخر حياته بعد عزله عن نظارة الاحباس حيث اضطر الى بيع بعض املاكه ومؤلفاته لسد حاجته واستمر كذلك الى ان توفى عام ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) بعد ان جاوز التسعين من عمره ، ودفن فى القاهرة حيث « عظم الاسف على فقدده ولم يخلف بعده فى مجموعة مثله » بشهادة خصمه السخاوى . ولا زال هناك فى القاهرة اثر عظيم يذكرنا بالعيني وهو « القصر العيني » الذى ينسب الى حفيده الأمير أحمد بن عبد الرحيم بن المؤرخ والفقيه المشهور البدر العيني الذى نتطلع الى اليوم الذى ينشر فيه باقى تراثه العلمى المخطوط .



حمزة السقا

للاستاذ : على حسن الشكرجى

زوجة صالحة ، ان دعاء الام
مستجاب « فقدعو له بعد كل صلاة .
لم يستطع حمزة أن يدخر مما
يكسب شيئا فلا يكاد رزقه يسد
ضرورات العيش آنذاك . وقد عزم
الا يتزوج حتى يوسع الله عليه رزقه .
وتمضى سنون وما زال رزقه شحيحا
ويشتد شوقه الى زوجة وكان يقول :
« لك فيها ارادة يا خالق الجردة » .
ذات صباح رجع حمزة الى بيته
بعد أن صلى صلاة الفجر فى الجامع
جاعة وقد هيات له أمه طعام
الفطور المعتاد الذى لو يأكله طبيب
اليوم لظهرت عليه بعد أيام أعراض
نقص الفيتامينات والمعادن والبروتين
.. لكن حمزة لم تظهر عليه أية
أعراض .. غسل حمزة يديه وقال
« بسم الله الرحمن الرحيم » وأكل
ومعه أمه . وما أن انتهى حتى قال :
« الحمد لله رب العالمين » .
قال : توكلت على الله ، وحمل
قربته يضمها حزام جلد الى جنبه
الايمن بمساعدة كتفه اليسرى التى مر
عبرها الحزام . ودعت أمه معيها

ترجع بنا أحداث هذه القصة الى
قرن من الزمان خلا حينما كانت القيم
الروحية لا القيم المادية متغلطة فى
القلوب فتغلغل معها ما حرم منه
عصرنا : اطمئنان النفس وسعادة
الروح وان لم تكن آنذاك وسائل
الترفيه والراحة البدنية التى وفرها
لهذا العصر العلم الحديث .
وكان ممن نعموا بالايمن سقاء
اسمه حمزة يكسب رزقه الحلال
بسقى الماء يحمله بقربته من نهر ليس
بقريب . فهو على أميته ملء
بالاطمئنان والسكينة يفتقدتهما
ويحسده عليهما كثير من أهل العلم
فى هذا العصر ذى العين الواحدة
التى لا يبصر بها الا الماديات .
بلغ حمزة مبلغ الرجال وما زال
عزبا . يود لو يتزوج ، انه يتقلب
فى فراشه ليلا . متى يكون أبا ومتى
يرد بعض جميل أمه فى زوجة تعينها
فى أمور بيتها الكثيرة من طحن وخبز
وطبخ وحيابة وكلها يدوية مجهدة .
كان يقول لها : « يا أمى ادعى لى
أن يوسع الله على رزقى ويوفقنى الى

فى مكانها على الارض . يسير وهو يتأمل الاشجار القريبة من النهر . يرى شجرة تفاح ويهرع اليها ويتفحصها عله يجد ما يشير الى أن تفاحة سقطت منها وتدرجت الى النهر . لم يجد ما يقتنع به لبيت بالأمر ، انها بعيدة نوعا ما عن النهر ويستبعد أن تتدحرج تفاحة منها الى النهر والارض غير منحدره .

تابع حمزة سيره وهو يفتش عن اشجار التفاح حتى رأى شجرة تفاح كبيرة وقد مالت بأغصانها الى النهر . نعم ، لا بد أن التفاحة سقطت منها وراح يتأملها : حمدا لله !! هذا مكان التفاحة الساقطة !! وأشرق وجهه ، انه سيستطيع أن يكفر عن ذنبه . وأسرع مبتعدا عن النهر وراح يسأل كل من يصادفه حتى علم أن البستان يملكه ثلاثة أشخاص وما أن علم أين يمكن أن يلقاها حتى انطلق الى أحدهم وأخرج «نذيله وقال له بعد السلام عليه متلعثا : « انى أكلت تفاحة من تفاحك .. بل أكلت قسما كبيرا من تفاحتك . كان قسم منها فى يدى والقسم الآخر فى فمى ممضوغا وكنت قد أكلت شيئا منها ودخل جوفى .. كنت لا أدري .. لم يخطر ببالى .. انه ذنبى .. » فقاطعه الرجل : « مهلا !! لم أفهم اية تفاحة هذه ؟ » .

أجاب حمزة : « تفاحة وجدتها وأنا أملا قربتى وأكلت منها ولم تكن لى .. انى والله لم أعلم الا بعد أن أكلت منها ، فقلت يجب على أن أبحث عن صاحبها ليجعل ما أكلت حلالا كيف

الوحيد بالدعاء وانطلق صوب النهر . وضع قربته على الارض وشد اذيال جبنه الى حزامه وحمل القربة باسم الله ونزل الى النهر وهو يريد أن يملأ قربته من الماء الجارى البعيد عن الجرف فهو أظهر . وبينما هو كذلك اذ يرى تفاحة يحملها جريان الماء وقبل أن تجوزه يلتقطها حمزة بيده اليسرى وما زالت يده اليمنى تمسك بالقربة . انها تفاحة ناضجة شهية وما أن امتلأت القربة حتى حملها خارجا ووضعها على الارض ثم بسم الله الرحمن الرحيم يقضم التفاحة ، ما الذها انها رزق من حيث لا يحتسب ، ومجأة يعلو وجه حمزة وجوم وقد امتنع لونه ، كان قسم من التفاحة فى يده وآخر فى فمه ممضوغا وآخر قد نزل جوفه . كيف يأكل تفاحة ليست ملكا له ولم توهب له ؟ انه اذن مغتصب سارق .

يجب أن يكفر عن ذنبه ويتدارك ما بدر منه . الطريق أمامه واضح لكن ماذا يفعل بما مضى فى فمه أياكله ، أيلفظه على الأرض ؟ أم ماذا ؟ أيضا فى منذيله مع القطعة الباقية فى يده ؟ والعمل الاخير هو الحل الذى أرضى ضميره وتقواه .. أخرج منذيله ووضع فيه قطعة التفاح التى فى يده وما كان يمضغه فى فمه . كيف يجد صاحب هذه التفاحة ليعطيه ما بقى منها وليؤهبه ما أكل منها حلالا طيبا ، كيف .. كيف ؟ وما لبث أن برقت عيناه فرحا وأسرع يسير بمحاذاة النهر من حيث أتت التفاحة يحملها الماء وترك القربة

يشاء واعطيه بقية التفاحة وسرت
بمحاذاة النهر حتى وجدت الشجرة
التي سقطت منها التفاحة، وقالوا لى
إنك أحد مالكيها الثلاثة .. والآن ..
فى هذا المنديل ما كان فى يدى من
التفاحة وما كان مضموغا فى فمى «
وقرب اليه المنديل .

قال الرجل مشمئزاً : « لا ، انى
اتنازل عن حصتى فى هذا » .
قال حمزة وقد امتلأ غبطة :
« جزاك الله عنى خيراً كثيراً و .. »
قاطعه الرجل : « أما ما أكلت من
حصتى فى التفاحة فسأجعله لك
حلالاً بعد أن تنجز لى عملاً » .
قال حمزة مندهشاً : « أى عمل ؟
انه يجب على أن أرضيك .. انى
مستعد » .

قال الرجل : « هناك فى أرضى
مستنقع أريد أن تطهره بتراب تل
ليس ببعيد كثيراً عنه وحينما تتم هذا
العمل فأنت مبرا الذمة فيها يخصنى »
سأل حمزة : « بأى شىء أحفر
وبأى شىء أحمل التراب ؟ » .
أجاب الرجل : « سأعطيك ما
تحتاج لهذا العمل » .

كان الوقت ضحى وأمامه عمل
يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً كثيراً وعليه
أن يعود قبل اشتداد الظلام والافأمه
سوف تثقل كثيراً وهذا ما يثقل عليه .
يجب أن يتم عمله بأسرع ما يستطيع
ثم يسرع الى المالكين الآخرين . شمر
عن ساعديه وشد أذيال جبته الى
حزامه وراح يحفر وينقل التراب الى
المستنقع والعرق يتصبب من جسده،
الجو كان حاراً . وما أن انتهى من
طمر المستنقع حتى حمل أدواته
وانطلق الى صاحبها وسأله هل أدى
ما يريد . ولما كان الجواب بالإيجاب
انطلق الى الآخر مسرعاً فقد زالت
الشمس قبل مدة . وحكى له القصة
وكيف صاحبه براً ذمته . فأتق
الرجل، ثم قال : « إننى أيضاً أهبك

حصتى فى بقية التفاحة . ان فى بيتى
حوضاً فيه ماء وسخ أسن أريد منك
أن ترمى ماءه فى النهر وتنظفـه ثم
تملأه بماء النهر وسأجعل لك ما أكلت
من حصتى حلالاً » .

قال حمزة : « لا سبيل لى الا
الرضوخ . سأصلى الفريضة ثم أبدا
بالعمل » .

قال الرجل : « أنت وشأنك .
وسأجلب لك ما تحتاج فى عملك » .
لم يشعر حمزة بسمو روحه وقربه
الى الله فى أية لحظة مضت من
حياته كذلك اللحظات وكأنه فى صلاته
قد طار الى السماء وحلق فى عليائها
وجرد منه كل ما يثقل ويحبس الروح
من اثم وجشع واغتصاب وشهوة ..
وأسرع الى العمل وكان يدا خفيفة
تحمل معه الماء الثقيل ما كان يتصور
أنه يمكنه أن ينجز ما عمل وهو على
ما عليه من جوع ونصب .

وحينما رضى المالك الثانى من عمله
انطلق الى المالك الثالث وحكى له
القصة ، وما كان من شريكه . أخذ
الرجل ينظر اليه ثم أطرق ثم قال :
« قف مكانك حتى آتيك » .

دخل بيته ثم يعود بعد دقائق ويقول
لحمزة : « انى أيضاً أهبك حصتى
فيما بقى من التفاحة . ان لى بنتاً
أريد أن أزوجهك منها .. »

تهلل وجه حمزة ، انه الفرج بعد
الشدة ، ابنة غنى تزف اليه !! حمداً
لله وشكراً ، ستكون له زوجة وطالما
اشتاق الى زوجة وسيكون له أولاد
وستكون لأمه معبنة وأنيسة !!

وواصل الرجل كلامه : « ولا أبرئ
ذمتك فيما أكلت من مالى حتى تتزوجها
على ما هى عليه » .

هنا انكسأ وجه حمزة . قال :
« ما عليها ؟ » .

أجاب الرجل : « انها عميساء ،
خرساء ، صماء ، مقعدة ، عجوز ،
والى جانب ذلك سوداء كالقحم » .

قال حمزة متقززا : « لا ، لا يمكنني أن أتزوجها ليس لى رغبة فيها » .
قال الرجل : « اختر بين أمرين :
أما أن تبقى آثما حتى تموت وتلقى
الله يوم الحساب وأما أن تتزوج
ابنتى هذه .. » .

قال حمزة وقد شمر أن جسده
ينقل عليه ثقل الجبال : « ودى أن
أفعل ما تريد لكن ليس هذا فى
مقدورى وفى ارادتي » .

قال الرجل : « أنت وشأنك فهى
قد وافقت على الزواج منك وبقيت
موافقتك لتعتق رقبتك من النار » .

قال حمزة مؤيدا وقد أظلمت الدنيا
فى عينيه : « كلامك صحيح لكن لا
أستطيع ، انه فوق طاقتى . وليس
عندى ما يعيننى على اعالتها » .

قال الرجل : « هل تطيق نار
جهنم ؟ وأنت تعلم أن عذاب الدنيا
ليس كمذاب الآخرة » .

شمر حمزة أن نور روجه قد انطفأ
وأن جسده يفوس به فى الارض .
ما العمل وكيف يحمل نفسه على هذا
الامر ..

قال حمزة وقد قرر أمرا :
« سأعطيك الجواب بعد قليل » .

أخذ حمزة يجمع من على الارض
عيدانا وقطع قماش والرجل ينظر
اليه مندهشا . يضع حمزة ما جمع
على الارض ثم يضره فيه النار ذلك
ما زاد اندهائى الرجل .

وحينما علت النار شمر حمزة عن
ساعده الأيمن وإذا به يدخل يده فى
النار وما لبث أن أخرجها وقد انكمش
وجهه لما وقد حبس آهة عميقة ثم
ينطق قائلا : « كيف أتحمّل نار الله
ولم أتحمّل نار الإنسان » . ثم خرجت
من فمه كلمة : « وافقت » .

تم عقد الزواج بوكالة الرجل .
نهض حمزة ليذهب الى غرفة عروسته

ليحملها (لأنها مقعدة) الى أمه قبل
اشتداد الظلام . وما أن دخل حمزة
غرفتها حتى خرج مرتجفا ممتنع
اللون مضطرب اللسان وهو يردد
كلمات الاستغفار ، وحينما سأله
الرجل ما باله قال حمزة متلثما :
« انى توهمت ودخلت غرفة بنت غير
زوجتى والله يعلم انى غير قاصد
ذلك » . قال الرجل : « لا عليك »
ويهدأ حمزة ويسرع بخياله : « كيف
تكون الحور العين ما أظن تلك البنت
الا منهن . تكاد روحى تخرج من
جسدى شوقا الى الحور العين
سأصبر حتى يزوجنى الله منهن يوم
القيامة » .

قال الرجل مبتسما : « يا أيها
المؤمن الطيب أنك لم تتوهم وما رأيت
الا زوجتك ابنتى » . وتسأل حمزة
مندهشا : « كيف ؟ ألم تقل لى إنها
عمياء سوداء عجوز .. وهذه البنت
لم أر أجمل منها فى حياتى » .

فقاطعه الرجل : « نعم قلت ذلك .
ان عاهاتها ليست كالعاهات قلت لك
عمياء لأنها لم تنظر الى ما حرم الله
وقلت خرساء لأنها لم تنطق بما حرم
الله وقلت صماء لأنها لم تنصت الى
ما حرم الله وقلت لك إنها سوداء لأنه
لم يرها أحنبى الا وهى ملفعة بمباعدة
سوداء وقلت عجوز لأن لها عقلا
كالكبار وقلت إنها مقعدة لأنها لم تسر
الى ما حرم الله . انى قد آليت الا
أزوجه الا ممن كان له تقوى كتنقواها
على كثرة من طلبوا يدها حتى هداك
الله البنا فأنت الذى كنت أبحت عنه
فهنيئا لك فقد نلت سمادة الدنيا
ونعيم الآخرة . وأشركك رزقى
الحلال لوجه الله تعالى » .

وما كان من حمزة الا أن انهال على
يد الرجل يقبلها شاكرا الله .

لمحات فى الثقافة الاسلاميه للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائيد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادئ والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشتمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص.ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

عالم الاسلام

الدكتور حسين مؤنس

موضوع هذا الكتاب هام بالنسبة لكل مثقف عربى يريد ان يأخذ صورة واضحة عن حقيقة المجتمع الاسلامى وتطوره التاريخى السياسى والاجتماعى . وهو أساس لكل من يدرسون المجتمع العربى ولا يستغنى عنه طلاب الثقافة الاسلامية ، فهو يعرض بصورة موجزة وشاملة قيام عالم الاسلام ومقومات مجتمعه على عهد الرسول عليه السلام ، ثم نمو ذلك المجتمع فى الاتساع والعمق مع دراسة مستفيضة الملامح للمجتمع الاسلامى . كما يتعرض الكتاب لما يسمى بعصور الركود فى تاريخ المسلمين ، ويحاول التعرف على حقيقة ذلك الركود وأسبابه ، مع اللام بتاريخ السدول الاسلامية الكبرى التى ظهرت فى العصور المتأخرة . والكتاب يقارب الستمائة صفحة ومن نشر دار المعارف بالقاهرة .

الفتاوى

صلاة الظهر

أثناء صلاة الجمعة

السؤال :

أنا ملازم للفرائض بأمر الطبيب ، ولا أستطيع الذهاب الى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، فهل يصح لي أن أصلي الظهر في فرائضي حال صلاة الامام الجمعة التي أسممها من الخياع ، أو يجب علي أن أنتظر حتى يفرغ الامام من صلاته . . ؟

الإجابة :

يرى الشافعية والمالكية والحنابلة أن من سقطت عنه صلاة الجمعة لعذر من الأعذار كالمرض يسن له تعجيل صلاة الظهر في أول وقتها ولا ينتظر فراغ الامام من صلاته ، وبناء على هذا فإذا صلى الظهر أثناء صلاة الامام الجمعة صحت صلاته مع ترك السنة ، أما الأحناف فقالوا يسن للممذور تأخير صلاة الظهر الى ما بعد صلاة إمام الجمعة ، أما صلاته قبل ذلك فمكروهة ، وبناء عليه تكون صلاتك الظهر صحيحة أثناء صلاة الامام الجمعة مع الكراهة .



وجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيـل فاجاب عليه بما يلي :

حكم نقل المسجد

السؤال :

شارع ضيق احتيج الى توسيعه من المسجد بهدمه كله ونقله الى محل آخر أو بأخذ جزء من المسجد . . فهل يجوز مثل هذا في الشريعة المطهرة . . ؟

الإجابة :

قد أمر الله سبحانه بعمارة المساجد وحث عليها ، وعمارة المساجد تكون ببنائها وترميمها . وتكون بذكر الله فيها وإحيائها بطاعته . قال الله سبحانه :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » . وفى حديث عثمان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » . وفى حديث أبى ذر : « من بنى لله مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ، وقال الله سبحانه : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة » . فعمارة المساجد من أوجب الواجبات وأفضل القربات كما أن السعى فى خرابها والاستهانة بها من أعظم المحرمات ، فيجب احترام المساجد وتعظيمها كما عظمها الله ، ولا تجوز الاستهانة بها ، وتقديرها ، والاستخفاف بحقها ، لأنها بيوت الله وموضع عبادته ، ومشاعر دينه . فالاستخفاف والاستهانة بحرمتها من أعظم أنواع الجراة على الله والاستخفاف بدينه ، وقد تكاثرت الأدلة فى الجث على احترامها وتنظيفها وتطيبها ، واماطة الأذى والأوساخ والقمامة عنها ، كما جاءت النصوص بالنهى والتحذير عن السعى فى خرابها ، وعمل كل ما ينفر عنها أو يقلق راحة المصلين فيها ، وقد ورد فى الحديث : « البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأى نخامة فى المسجد غضب وأمر بحكها ، وكذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم عزل الامام الذى تنخم فى قبلة المسجد ، ونهى أكل الثوم والبصل عن قربان المسجد ، فاذا كان الأمر كما ذكر من وجوب احترام المساجد وتعظيمها والتحذير من كل ما ينفر عنها علم من ذلك تحريم الاقدام على هدمها ونقلها لمجرد تصور متصور من غير حصول على افتاء شرعى مدعم بالدليل ، ولا تكون الفتوى فى مسجد بعينه فتوى فى عموم المساجد ، بل كل مسجد يحتاج الى فتوى تخصه بعينه . . لأن الأصل المنع ، ويحتاج كل مسجد الى نظر جديد ، وتأمل فى جنس المسوغات حتى يتحقق المسوغ الشرعى ، فهدم المساجد ونقلها بدون تحقق مسوغ شرعى لم يقل بجوازه أحد من علماء المسلمين .

أما نقلها لمصلحة أو لتعطل منفعة فهذا فيه خلاف بين العلماء ، منهم من منعه ، وهم الجمهور من العلماء واستدلوا بحديث : لا يباع أصلها ولا توهب ، ولا تورث . ومنهم من أجازها اذا تعطلت منافعه ولم يجزه لرجحان المصلحة ، ومنهم من أجازها لمجرد رجحان المصلحة ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية وأتباعه ، قال فى الإنصاف : يجوز نقل المساجد لمصلحة الناس . وهو من مفردات المذهب واختاره صاحب الفائق وحكم به ، وقال أيضا : وجوز الشيخ تقي الدين ذلك — أى بيع البقعة والمناقلة فيها — لمصلحة ، وقال : هو قياس الهدى ، وذكره وجها فى المناقلة ، وقال فى الإنصاف أيضا : وأما اذا تعطلت منافعه أى الوقف فالصحيح من المذهب أنه يباع والحالة هذه ، وعليه جماهير الأصحاب ، وقطع به كثير منهم ، وهو من مفردات المذهب ، وعنه لا تباع المساجد لكن تنقل آلتها الى مسجد آخر ، اختاره أبو محمد الجوزى ، والحارثى ، وقال : هو ظاهر كلام ابن أبى موسى . وعنه لا تباع المساجد ولا غيرها لكن تنقل آلتها ، وقال فى الإنصاف : فعلى المذهب المراد من تعطل

منافعه المنافع المقصودة بخراب محلته ونقله عبد الله ، وهذا هو المذهب وعليه أكثر الأصحاب ، وقدمه في الفروع .

وقال في المغنى : وجملة ذلك أن الوقف إذا خرب وتعطلت منافعه كدار انهدمت وأرض خربت وعادت مواتا ولم تكن عمارتها أو مسجد انتقل أهل القرية عنه وصار في موضع لا يصلى فيه ، أو ضاق بأهله ولم يمكن توسيعه في موضعه . أو تشققت سقوفه ولم تكن عمارتها ولا عمارة بعضه إلا ببيع بعضه جاز بيع بعضه لتعمر به بقيته ، وإن لم يمكن الانتفاع بشيء منه بيع جميعه . اهـ .

فظهر مما تقدم أن نقل المسجد لحاجة الشارع اليه لا يجوز على المذهب ، وهذا على قول الجمهور أظهر ، وعلى أصل الشيخ تقي الدين لا يعد هذا بمجرده مسوغا لكن على أصله فقط أنه لو نقل في هذه الصورة الى موضع آخر لكونه أصلح وأسهل لجماعة المسجد ، وكان بمقدار المسجد الأول سعة وصفة أو أتم ساغ الامتاء بذلك ، وقد استدل أصحابنا الحنابلة على جواز نقل المسجد عند تعطل منفعة بما يروى أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد لما بلغه أنه قد نقب بيت المال الذى فى الكوفة : أن أنقل المسجد الذى بالتمارين ، وأجعل بيت المال فى قبلة المسجد فإنه لن يزال فى المسجد من يصلى ، قالوا وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، فكان اجماعا ، وأجابوا عما استدل به الجمهور بأن البيع المنهى عنه فى الحديث هو بيعه كبيع الأملاك ، أو لا يحل ثمنه . وإبطال وقفه ، وهذا مما لا نزاع فيه ، والنقل عند تعطل المنفعة أو لرجحان المصلحة ليس من هذا فى شيء ، وإنما هو من تكميل الوقف والسعى فى حصول مقصود الواقف أو ما هو أكمل من مقصوده ، وهذا من الاحسان والتعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به .

والله أعلم .



اعداد : عبد الحميد رياض

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « شهر ا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجة » ؟

عبد العزيز لطفى — كويت

ليس المراد بالنقص فى الحديث النقص فى عدد الايام فى كل من الشهرين بمعنى أنه لا يكون رمضان ولا ذو الحجة الا ثلاثين يوما ، لأن الواقع يخالفه فقد يكونان تامين وقد يكونان ناقصين ، وقد يكون أحدهما ثلاثين والآخر تسعة وعشرين ويدل على أنه ليس المراد العدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكلوا العدة » فانه لو كان رمضان أبدا ثلاثين يوما لم يحتج الى هذا .
والمراد أنهما لا ينقصان فى الأجر والثواب المترتب عليهما وان نقص عددهما ، بل يتفضل الله عز وجل بالحاق الناقص بالتام ، فى الثواب ، وسمى رمضان شهر عيد مع أن شهر عيد الفطر شوال لقرب رمضان من العيد .

الخير وموقف الاسلام منها :

تساؤلات واجوبة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين . .
وبعد ، فقد بعثت الى مجلة (الوعى الاسلامى) مشكورة برسالة تلقتها من المواطن الكريم السيد/أحمد عبد الفتاح مصطفى بكلية زراعة القاهرة ، يسأل عن أشياء دارت بخاطره ، وهو يقرأ مقالالى ، نشر فى المجلة ، ضمن سلسلة بحوث نشرتها المجلة عن : « الحدود فى الاسلام » ومن بينها موضوع : « الخمر وموقف الاسلام منها » وهو الموضوع الذى دار حوله تساؤلات المواطن الكريم .

يقول الأخ الكريم فى رسالته : « وكانت ثمرة هذا الموضوع القيم أن الخمر بجميع أنواعه ، وأصنافه وطرق اعداده ، وكميته ، محرم شرعا » .
ثم يقول : « ولكن يخطر ببالى تساؤلات أرجو الاجابة عليها :
١ — « تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم ، فقد ذكر فى سورة البقرة ، قول الله عز وجل : « يسئلك عن الخمر واليسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمها أكبر من نفعها » .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بالمنافع للناس ، والموازنة بين اثمها ونفعها ؟ وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة ؟ وما منافع الخمر والميسر ؟ »

٢ - قوله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعنكم فلحون » ويسأل الأخ الكريم : « فى الآية السابقة الأمر النهائى بتحريم الخمر والميسر واجتنابهما .. فما حكمة التدرج فى التحريم ، بالمقارنة الى سورة البقرة السابقة ، التى ذكرت أن للخمر منافع وآثاما ؟ » .

٣ - وننتقل فى نهاية المطاف الى سورة محمد ، حيث يقول الله عز وجل : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين . » وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بأنهار الخمر اللذيذة للشاربين ؟ وهل هى مسكرة كخمر الدنيا وما هى صفاتها حتى لا يحدث فيها اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمر الجنة ؟ » .

ذلك هو محتوى رسالة الأخ الكريم نقلناه بنصه .
وانى لأحمد الله تعالى للأخ الكريم أن حمى شبابه من هذه الغفلة التى تستولى على كثير من الشبان فلا يلتفتون الى ما ينبغى أن يلتفتوا اليه من أمور دينهم ، صارفين جل أوقاتهم فيما يترضون به أهواء الشباب ونزواته .. نسأل الله العافية لشبابنا ، والسلامة لهم من الفرق فى تيارات الآراء ، والمذاهب المضللة الزاحفة إلينا من الغرب فى صور شتى من المنطوق ، والمسموع ، والمنظور ..

ويسعدنى بعد هذا أن التقي مع الأخ الكريم ، لأجيب على أسئلته ، راجيا أن أوفق فى الاجابة الى ما يزيده ايمانا بدينه ، وبقينا بما فى كتاب الله تعالى من حق لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما فى شريعة الاسلام ، من بصائر للناس ، وهدى ورحمة للمؤمنين ..

فأولا : ما يتساءل عنه الأخ الكريم : « من تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم » .

ولعله يقصد بهذا ما جرت عليه الشريعة السمحة من اليسر والترفق بالناس فيما تلزمهم به من أحكامها ، تقريراً أو تحريماً ، وذلك بالتدرج فيما يدعو الناس الى الأخذ به ، والكف عنه ، وخاصة فى التكاليف التى تشق على الناس فى أول عهدهم بها .. كالصلاة مثلا .. فانها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت ركعاتها بعد ذلك الى ما هو معروف منها .. بل وأكثر من هذا فان ثقيفا حين أرادت أن تدخل فى الاسلام اشترطت على النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بوحدانية الله ، وبأن محمداً رسول الله ، ألا يؤدوا الصلاة ، ولا الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله .. فقال لهم الرسول الكريم : أما الصلاة ، فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه .. فقبلوا أن يصلوا ، ولم يقبلوا أداء الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله ، فقبل منهم الرسول الكريم دخولهم فى الاسلام على هذا الشرط ، وحين راجعه بعض أصحابه فى هذا ، قال : انهم سيؤدون الزكاة ، وسيجاهدون اذا دخلوا الاسلام » وقد كان محسن اسلام ثقيف ، وأدوا الزكاة وجاهدوا مع

المجاهدين ، حتى انه حين ارتدت بعض قبائل العرب لم يرتد أحد من ثقيف ، وكانوا جندا من جند الله فى حروب الردة .

وكذلك الشأن فى الخمر التى جاء الاسلام والجاهليون يتعاطونها ، ويتواردون شيئا وشيئا على مجالسها ، توارد عطاش الأبل على الماء . . فكانت الحكمة الربانية التى قضت بتحريمها أن تنتزع هذا الداء الخبيث المتمكن من النفوس ، بتلطف ورفق ، وأن تسقيهم الدواء الشافى لهذا الداء جرعة جرعة . . فذلك هو الذى تصلح عليه النفوس . . كما تصلح عليه الأبدان .

وأول لمسة من لمسات القرآن الكريم لهذا الداء جاءت بالإشارة من طرف خفى الى أن فى الخمر شيئا ، ينبغى للعاقل أن يتجنبها من أجله ، والا يجعلها تجارة من تجارته أو زادا من زاده . . وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة النحل : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (الآية ٦٧) . . وفى هذا اشارة من بعيد الى أن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب ، منه ما هو رزق حسن ، كالذى يتخذ للأكل أو للتجارة ، ومنه ما هو غير رزق حسن . وهو ما يتخذ سكرا ، وخمرا . . « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا » . . فالسكر شيء ، والرزق الحسن شيء آخر ، حيث لا يستحق السكر هذا الوصف الكريم . .

هذه لمسة أولى من لمسات القرآن الكريم الخفية الخفيفة للكشف عن هذا الداء . لينبه الفاضلين عنه .

ثم تجيء اللمسة الثانية ، جوابا لتساؤلات السائلين عن الخمر والميسر ، بعد أن رأوا منها هذا الوجه الخبيث ، القبيح ، الذى يعزلها عن أى وصف حسن ، فيقول جل شأنه : « يسألونك عن الخمر والميسر . . قل فيهما أثم كبير ، ومنافع للناس ، وأثمهما أكبر من نفعهما » . . وفى هذا تصريح بعد التلميح الذى حملته آية النحل . بما فى الخمر ، وصاحبها الميسر من اثم كبير ، الى جانب ما قد يحسبه يحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . . ذلك أن ما قد يجده شارب بعض الناس من نفع فيهما . . وأن هذا النفع المتوهم إذا نظر اليه العاقل نظرة براءة من الهوى ، بعيدة عن الخداع النفسى ، وجد أنه لا يعدو أن يكون سرايا يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ذلك أن ما قد يجده شارب الخمر من انتشاء وخفة ومرح ، هو شيء يخف ميزانه ، الى جانب ما يعقب ذلك من فقدان الوعي . وضياع الروءة . وسقوط الكرامة ، والنزول من مقام الانسان الكريم ، الى عالم الحيوان البهيم . . وكذلك شأن من يتجر بالخمر ، صانعا أو بائعا ، أو جالبا ، أو ساقيا ، هو لا بد شارب لها يوما ما ، ان لم يكن اليوم ففى غد ، أو بعد غد . وبهذا يجنى ما يجنى شاربوها من هذا الثمر المر القاتل منها . . ثم هو الى جانب هذا يحمل الى غيره من الناس ما يوردهم موارد الضياع والهلاك . .

وفى اقتران الميسر بالخمر فى هذه الآية الكريمة ، وفى غيرها ، اشارة الى أن هذين الداءين الفتاكين ، متآخيان متلازمان ، فحيث كانت موائد خمر ، كان المجتمعون عليها شاربين ومقامرين ، وحيث كانت موائد قمار ، كان الملتقون

حولها مضامين وشاربين .. وهكذا يجتمع الخبيث الى الخبيث ويألف به .

ثم يجيء القرآن الكريم بعد هذا البيان المبين الكاشف عن الخمر والميسر ، وعما فيهما من اثم كبير ، يرجح بكل ما قد يلتقطه بعض الناس من منافع متوهمة لهم من معاقرة الخمر ، أو لعب الميسر — يجيء القرآن فيكشف عن وجه آخر خبيث من وجوه الخمر ، فيقول سبحانه : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** » (النساء : ٤٣) .

وكفى بالخمير شناعة وبلاء أن تعزل شاربها عن جماعة المسلمين ، وأن تبعده عن مقام القرب من الله في هذا الموقف الكريم ، الذي يقفه المصلون بين يدي الله ، ينجون ربهم ، ويتلقون ما يتلقون من سوابغ فضله ، وعظيم رضوانه ..

وكفى بشارب الخمر ضياعا وخسرانا أن يجد نفسه معزولا عن الناس في أشرف مقام وأكرم منزلة .. وحسبه أن يرى الناس يدخلون من أوسع الأبواب الى لقاء الله ، والى مناجاة ربهم في محارب الصلاة ، ثم يظل هو واقفا على الباب ، لا يؤذن له ، حتى يذهب عنه داء الخمر ، الذي أخذ عقله ، وذهب بلبه ، واغتال إنسانيته .

وفى هذا الموقف الذي يدخل فيه المسلم في تجربة عملية مع الخمر وما جرتة عليه من ويلات ، ومساءات يرى كيف أزرى بانسانيته ، وفقد أهليته أن يقف مع الناس بين يدي الله ، على قدم المساواة ، لينال ما ينالون من خير ، ويذهب بما يذهبون به من أجر — في هذا الموقف يتهيا هذا الإنسان للخطوة التي ان خطاها أخذ مكانه بين الناس ، وصف قدميه مع أقدامهم ، وهذا لا يكون الا بأن يجتنب الخمر ، ويقطع صلته بها .. وهنا يجد هذا النداء الكريم من رب كريم يدعوه اليه ليكون من عباده المفلحين : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ** » (المائدة : ٩٠) .. فالفلاح كل الفلاح لمن جانب هذه المنكرات ، وأبى أن يمد يده الى ما عمله الشيطان ، وزينه له .. وانه لا فلاح أبدا لمن استجاب للشيطان ، وتناول من يده هذا الرجس الذي يفتنه به ، ليضله عن سبيل الله ..

تلك هي بعض حكمة التدرج في تحريم الخمر ، وما يدور في محيطها من منكرات ، جريا على سنة الشريعة السمحة الحكيمة ، في سياسة النفوس ، ومعالجة أمراض القلوب ، وذلك بالرفق والحكمة والميسر ، حيث تستجيب النفوس ، وتلين القلوب ..

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ولا أروا بعد هذا في حاجة الى اجابة الأخ الكريم اجابة مسهبة مفصلة على تساؤله : « وهل اتخاذ القرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فسي الآية الكريمة » ؟

ويكفى أن نقول : ان ما يصدق على المسلمين من أمر الخمر والميسر ، ومن

أن ضررها أكبر من نفعها عقليا وجسديا وماديا — يصدق على غير المسلمين في الشرق والغرب ، من حيث اشتراكهم جميعا في الإنسانية ، وأن الضرر الذي يقع على المسلم من أي منكر يتعاطاه ، أو أثم يقتضيه ما نهاه الله عنه ، يقع على غير المسلم . والفرق بينهما أن المسلم يتلقى أوامر ربه ونواهيته مؤمنا موقنا بالخير الذي يناله من امتثال أمر ربه ، ومطمئنا مستيقنا بالأمن والسلامة باجتناب ما نهى عنه . أما غير المسلم فإن أهواء نفسه وشهواتها ، هي صاحبة الأمر والنهي له ، فبسلطان أهوائه ، وبنزعاته يأتي ما يأتي ، ويدع ما يدع ، ولو كان فيما يأتيه بلاؤه وشقاؤه ، وكان فيما يدعه خيره وسعادته . . والله سبحانه وتعالى يقول : « **أَقْمِنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** » ؟ (محمد ١٤) . .

*** * * *

ونقف مع الأخ الكريم وقفة عند تساؤله عن خمر الجنة التي وعد المتقون ، إذ يتساءل عن « **المقصود بأنهار الخمر اللذة للشاربين** ، وهل هي مسكرة كخمر الدنيا ؟ وما هي صفاتها حتى لا يحدث اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمر الجنة »

ونقول للأخ الكريم : أن خمر الجنة لا تسكر ، ولا يسكر شاربوها ، ممن أنزلهم الله تعالى منازل جنته ورضوانه . . يقول الحق جل وعلا : « **يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ** » (الصافات ٤٥ — ٤٧) . ومعنى : (لا فيها غول) أي ليس في هذه الخمر ما ينال من العقول ، ويفتال ملكة الإدراك فيها . . ومعنى (ولا هم عنها ينزفون) أي ولا يجد شاربو هذه الخمر أثرا لها في عقولهم . . وذلك أن أهل الجنة طيبون ، لا يقبلون إلا طيبا ولا يسمعون إلا طيبا ، كما يقول سبحانه : « **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا** » (الواقعة ٢٥ ، ٢٦) ومجالس الخمر لا يسمع المجتمعون عليها إلا ما كان من لغو الأحاديث ، لأن من سكر هذى . ولغا .

وأما كون خمر الآخرة من وسائل النعيم لأهل الجنة ، فذلك مما لا شك فيه ، إذ الجنة كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : « **فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ** » (الزخرف ٧١) ويقول سبحانه : « **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ** » (فصلت ٣١) .

فكل ما تشتهيه نفوس أهل الجنة يجدونه بين أيديهم من غير أن يتكلفوا له عملا . . وليست الخمر هي كل ما يشتهيه أهل الجنة . فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . .

إن ثم كثيرا من الناس في هذه الدنيا قد دعتهم أنفسهم إلى شرب الخمر فردوا أنفسهم عنها ، امتثالاً لما نهاهم الله عنه ، وخشية لجلاله ، ومراقبة لسلطانه ، فكان من فضل الله عليهم أن هيا لهم في الجنة مجالس يتعاطون فيها الخمر مبراة مما يصيب شاربها في الدنيا ، من صداع الرعوس ، وفتور الأجسام وذهاب العقول : « **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصْذَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ** » (الواقعة ١٧ — ١٩) . والله يقول الحق وهو يهdy السبيل .

عبد الكريم الخطيب

حول تعدد الزوجات

لا يدري الانسان البصير الى متى يظل هذا الدين عرضة للهجوم ، ومجالا للاتهامات الباطلة ، والى متى تظل هذه النفوس فى حالة هروب عن الهدي ، وعمى عن الحق ، بل الى متى يظل هذا المنهج الالهى القويم مثارا للافتراءات والأكاذيب التى تهدف الى نزعها من الصدور ومحوه من القلوب . ولقد ظل تعدد الزوجات فى الاسلام أمرا كثر فيه القول والجدل بغير دليل ولم ترض النفوس الحاقدة أن تعرف الحكمة من وراء هذا التعدد والسبب فى مشروعيته ، وفى هذه الأيام تتوارد علينا الاحصائيات التى نشرت فى العالم عن عدد الأناث وعدد الذكور ، فلتدّ نشرته صحيفة الأهرام القاهرية الاحصائية التالية يوم الأربعاء ١٩٧٤/١/٩ تحت عنوان (نساء العالم فى ازدياد) : « تشير الاحصاءات الى أن عدد النساء فى العالم يزداد بدرجة ملحوظة على عدد الرجال ، وأن هذه الزيادة مستمرة ففى أمريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٢٠٪ ، وفى السويد ٢٤٪ ويوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى فى مقابل ١١ مليون رجل وفى الاتحاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الاناث اللاتى فى سن الزواج عن عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة » هذه هى الاحصائية .

فماذا يفعل العالم الآن ازاء هذا العدد الكبير من النساء فى مقابل العدد القليل من الرجال ؟ وماذا يضع فى تشريعاته الوضعية من حل لهذه المشكلة الخطيرة والمتفاقمة ؟ نفس هذا التساؤل يضعه الأستاذ محمد الفزالى ، فهو يقول (اما اذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحد من ثلاثة :

- ١ — اما أن نقضى على بعضهن بالحرمان حتى الموت .
- ٢ — واما أن نبيح اتخاذ الخيلات ، ونقر جريمة الزنا .
- ٣ — واما أن نسمح بتعدد الزوجات .

ونظن أن المرأة — قبل الرجل — تأبى حياة الحرمان ، وتأبى فراش الجريمة والعصيان ، فلم يبق أمامها الا أن تشرك غيرها فى رجل يحتضنها وينتسب اليه أولادها ، ولا مناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ التعدد الذى صرح به الاسلام . هذا هو الحق وربما ظهرت الحكمة الربانية من وراء التعدد ، وبالإضافة الى التساؤل السابق نضع هذه الأسئلة الواقعية التى تطلب حلا وتلج فيه :

ما هو السبيل الى ذرية صالحة اذا كانت الزوجة عقيما ؟ وما الحل الأم اليتامى التى فقدت الزوج الذى كان يرعاها ؟ ، وما الخلاص للتي طلقت من زوجها ؟ أو للعانس التى ماتها سن الزواج ؟ أو للأرملة التى مات زوجها ؟ أو حتى للتي اعوج بها السبيل فى ريعان الشباب ؟ الى غير ذلك من الأسئلة .

ثم هناك السؤال الكبير والخطير ، ان التعدد تشريع من الله سبحانه وتعالى الله الذى خلق والذى أحيا وأمات ورزق ، الله الذى يعلم السبيل الوحيد لإنشاء مجتمع مثالى صالح ، فكيف يمكن ويجوز لنا ، أو حتى لغيرنا ، أن يرضى بمنهج

الخلق على منهج الخالق ، وبقانون العبد عن تشريع المعبود ؟ ثم (أنتم أعلم أم الله) ؟ (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) . خليل محارب السوريكي

المساعي المشكورة

تساعد وزارات الأوقاف فى الدول الاسلامية طلاب العلم الفقراء باعانة شهرية طول مدة الدراسة وقد احصى صاحب كتاب اشتراكية الاسلام واحدا وثلاثين غرضا تتوجه الأوقاف لتحقيقها . . ثم يتخرج الطالب طبيا أو مهندسا أو صيدليا أو مدرسا أو مذيعا أو صحفيا أو ممثلا أو مخرجا .
فهل يرد الجميل الذى أسدى اليه بعد أن أصبح غنيا قادرا على رد الجميل ؟ أم يكون أول القصيدة كفرا فلا تنال منه أوقاف المسلمين الا العيب والشتم والطعن لأنه رأى فيها ما لا يعجبه ؟

وما أكثر وأعقد بذور السخط والتمرد فى نفسه ويتمنى لها الخراب والفناء والالفاء وان كان خبرها عليه من مفرق رأسه الى أخمص قدميه .
لأنه تأثر بالحضارة الغربية أو شتم هوى الشيوعية وأصبح فى حب البيضاء أو الحمراء أصفر أو أحقر عبد ورحم الله أبا العلاء حين قال :
والقلب من أهوائه عابـد
ما يعبد الكافر من بـره

فتراه يفزع من ظلال الاسلام والشرق والعروبة والفلاحة والبادية والمصرية كما يفزع المددوغ اذا رأى الحية . . واذا ذكر بماضيه الذى يمد جذوره الى هذه المعانى ظل وجهه مسودا وهو كظلم يتوارى من القوم من سوء ما (ذكر) به ، مع أن رسول الله لم يستنكف بعد الرسالة من رعى الغنم قبلها . .

هل يستعد هذا الطالب القديم بعد أن يصبح صاحب سيارات أو عمارات أو عيادات أو أراضى أو مصانع أن يهب ايراد بعض هذه الأشياء لطلاب العلم وقد كان منهم قبل أن يغير جلده ؟

كم هم أصحاب المئات والالوف والملايين الذين ينزلون عن شئ من أموالهم طائعين مختارين لجهات البر التى تنفق عليها وزارات الأوقاف ؟

وما دامت مواردها قد أصابها الكساد وجفت الأمطار التى تغذى منابع أموالها لتغير الأحوال ودناءة النفوس وميلها للأثرة وحبها لأن تأخذ ولا تعطى ومعرفتها للحق دون الواجب ومطالبتها بالعدل اذا كان لها وتجاهله اذا كان عليها . . فلا بد أن تراجع الأوقاف نفسها وان تتكيف مع البيئة فيكون العطاء عندها بمقدار فى وقت الحاجة ، وأنا أقترح على الوزارة والهيئات والمصالح التى تساعد طلاب العلم أن تكون هذه المساعدات ديونا عليهم تقرضها لهم فى وقت الفقر ثم تستردها بعد اليسار والسعة لتعين بهذه الأموال غيرهم بدلا من أن يوكل استمرار الأوقاف فى مساعدة طلاب العلم الى ضيائهم وقد أصبحت كسر اب بقية يحسبها الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وليس من الحكمة أن تضع الأوقاف رسالتها واستمرار حياتها تحت رحمة هذه الضمائر التى شاعت أقوالها وأفعالها وهى لا تبشر بخير ولا تسر الصديق ولا العدو .

أليس أخذ أموال المساعدات من هؤلاء ضمانا لاستمرار الرسالة التى أسسها الرواد الأوائل من الواقفين خيرا من انفاقها فى المصايف والمشاتى والملاهى وعلى الفوانى والزخارف ؟
عبد الرحمن أحمد شادى

الطريق الى حياة العزة والكرامة

لقد أصبح واضحاً الآن بما لا يدع مجالاً للشك ، وبما ليس فى حاجة الى برهان : أن الأمة التى لا يتعدد فيها الضحايا ، ولا يكثر فيها طلاب الشهادة دفاعاً عن عقائدهم وشرائعهم ، وآدابهم وقيمهم وحرمانهم ومقدساتهم ، ومبادئهم ومثلهم التى أمروا بالدفاع عنها أو الموت من أجلها ، والتى تنتظم الحياة بأكملها وتحفظ الهيبة والكرامة ، والحق والحرية والعدالة للأحياء من أفرادها .. هى أمة غير جديرة بحياة العز وعيش الكرامة ، بل انها لحرية أن يتخطفها الناس من كل صوب ، وأن يطمع فيها القوى والضعيف والصالح والطالح من كل جانب ..

ومن هنا — وليس من أى شىء آخر — كان الشهداء من الأمة — بحق — هم بمثابة القاعدة من البناء ، على جثثهم الطاهرة المباركة ينهض بناء الأمم ويسمو حتى ليطاول السحاب : علوا وشموخا وعزة وإباء وبدمائهم الطاهرة الزكية تروى أشجار عزها وتزدهر أزهار مجدها وفخارها على تعاقب الأيام ومر الأجيال .. بل اننا لا نغالى اذا قلنا : ان الشهداء من الأمة بمثابة الروح للجسد ، والعافية للبدن ، كما أننا لا نتجاوز الحق اذا قلنا : ان دماءهم الزكية الطاهرة هى وقود حياة الأمم ، بل انها الطاقة الخفية التى تشق للأمم طريقها الى الخلود والمجد ، وتظلها بسحاب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .. ذلك لأن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض أوطانهم المباركة ، وتشربها تربتها المقدسة .. لا تضع سدًى ، ولا تذهب هباءً : بل انها لتأتى بالفرائد ، وتضئ الأعاجيب فى حياة الأمم والأوطان ، ان لم تكن تأتى بالمعجزات الباهرات ..

ذلك : لأنه اذا كان من شأن الماء حين يمس الأرض أن يهزها من أعماقها حتى يشقق من بنيانها ويفتت من مادتها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حياً جنياً وثمرات شهيها ، وأكلا طيباً هنياً كما حدث الله تعالى عباده فرداً فرداً فقال : « وترى الأرض هامة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج . فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ويسقى أديم الأرض ويسوخ فى أعماقها : حتى يبرز من جديد .. من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية ، غضبا عاصفاً يموج فى الأثير ، ثم ينصب على رعوس الظلمة الغاشمين فى كل زمان وفى كل مكان ، على مر الأيام وتعاقب الأجيال .

مسئولية الكتاب والمثقفين والشباب

ان أخطر ما تواجه به المسلمون مستمدا من أعماق مقومات الاسلام هو القدرة الدائمة على مواجهة الحرب النفسية التي تحاول اخراجهم عن قيمهم وذاتيتهم . فقد عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التأثير الاجنبى بكل أنواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية التي تهدف الى تغيير المعالم الأصلية لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ومزاجهم النفسى . فقد كان أعداء الاسلام يطمون أن الطريق الوحيد الى تمزيق وحدة الأمة هو ضربها من خلال قوائم فكرها بإثارة الشبهات وادخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الأصلية . ولقد كافح المسلمون فى تاريخهم كله لتحرير الفكر الاسلامى من هيمنة أى فكر آخر أو عقيدة أخرى ، ولذلك فان أهم المسؤوليات الملقاة على الكتاب والمثقفين والشباب اليوم هو النفاذ المستنير والقدرة الواعية على تعرف أبعاد الأخطار التي تحيط بالمجتمع والأمة والفكر .

ان هناك عدوا خطيرا لا يتوقف عن القاء السموم والشبهات ، فعليا أن نتحصن بالحذر واليقظة ، ولكن قادرين على مواجهة هذه الشبهات ودحضها ، وان هناك حربا نفسية تعمل على تشكيك أمتنا فى وجودها ، رغبة فى تدمير صيودها ومقاومتها تمهيدا لتدمير وجودها نفسه .

وتحاول الحملة النفسية أن تشكك فى عشرات من الحقائق وأن تثير الشبهات فى عدد من القضايا فضلا عن القاء مفاهيم وافدة لا تتفق مع ذاتية الاسلام وطبيعته الأصلية القائمة على التوحيد والايمان والاخلاق .

ولذلك فقد كان من الضروري أن يوفق المسلمون الى الحقائق الأصلية التي يراد دحضها وأن يقفوا من أجل الدفاع عن ذاتيتهم الخاصة التي يراد تدميرها . ان الذين يردون ركود المسلمين الى الاسلام نفسه يخطئون ، فان الاسلام براء من كل عناصر التأخر والركود . ولقد أقام نهضة وأنشأ حضارة ما زالت تضيء للانسانية من خلال الاجيال ، والحق أن ضعف المسلمين انها يعود الى انفصالهم عن أصول الاسلام ومقوماته باندفاعهم فى حياة الترف ، وتعطيلهم الجهاد .

ولقد تواصى المسلمون بالحذر من أهداف تحريف مفاهيمهم التي تتمثل فى العصبية السنية فى أهداف التفریب والاستعمار والغزو الثقافى التي تحاول العقيدة بإذاعة الالحاد وتقويض المجتمع والاسرة بنشر الالحاد .

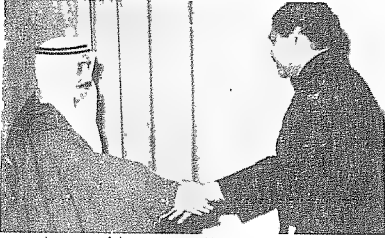
ولقد كان الاسلام قادرا دوما على التجدد من خلال مقوماته ، ولم تخل حقبة فى تاريخ الاسلام حتى فى أشد عصوره ضعفا من المصلحين والمجددين من ذوى العقول المستنيرة والقلوب المؤمنة ، ولقد كان شغل أعلام المسلمين النشأغل هو الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب أو تتلاشى فى أى حضارة أخرى .

لقد كانت للاسلام انتفاضات بين فترة وفترة تسقط كل ما أدخل الى جوهره من قيم غريبة عنه ، ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا دوما على رفض الدخيل وطرده البديل . وحضانة الاصيل .

عن (أخبار العالم الاسلامى) — مكة المكرمة

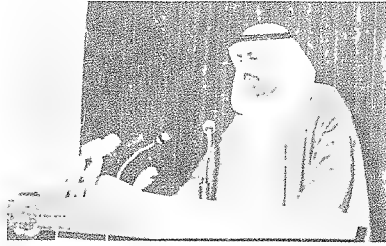
إعداد الأستاذ : فهمي الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن بعد أن قضى فترة من الراحة والاستجمام في ربوع لبنان وكان في استقباله في مطار الكويت الدولي سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء والشيوخ والوزراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية وكبار ضباط الجيش والشرطة ، وجمهور غفير من المواطنين .

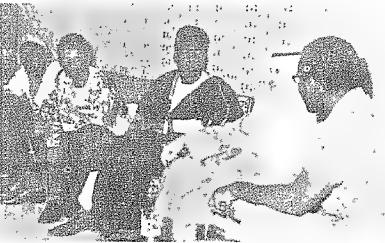


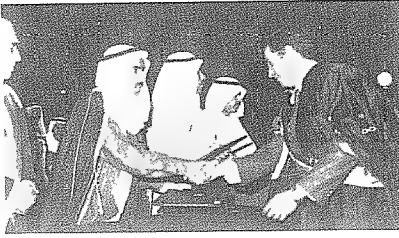
● استقبل سمو أمير البلاد المعظم في الشهر الماضي وزير خارجية بنغلادش الدكتور كمال حسين . ويبدو في الصورة وزير الخارجية مصباح سمو الأمير المعدي .

● احتفل في الشهر الماضي بالذكرى العاشرة لقيام مؤسسة الدراسات الفلسطينية وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى غرفة تجارة وصناعة الكويت . وفي الصورة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم يلقي كلمة الافتتاح .



● وصل الى البلاد وفد إسلامي من جمهورية غينيا بيساو . وقد استقبل الوفد في المطار الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الإسلامية . ويرى سيادته في الصورة مع الوفد في قاعة مطار الكويت .





● مبلغ (١٧٠٠٠) جنيه استرليني لاقامة مركز للشبان المسلمين والذين يعدون بالآلاف .. وقد تسلمت الجمعية المبلغ .

● عقدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مؤخرًا مؤتمرًا للمنظمات الاسلامية استمر خمسة أيام حضرته وفود عن مختلف الهيئات الاسلامية فى العالم .

● أصدر وزير المعارف قرارًا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات الجامعية وفى كل سنوات الدراسة دون استثناء .

الجزائر : عقدت فى الجزائر اجتماعات الدورة السادسة لاتحاد الاذاعات العربية وذلك لبحث التنسيق وتدعيم التعاون بينها .

● دفعت الجزائر خلال حرب رمضان مبلغ ١٠٠ مليون دولار ثمنًا لأسلحة اشترتها لصالح المعركة مع اسرائيل .

سورية : تتصاعد الاستباكات يوميا بين الابطال السوريين وقوات الاحتلال الاسرائيلى وقد صرح مصدر سورى مسئول بأن قرار وقف اطلاق النار لم يعد له وجود فى جبهة الجولان .

فلسطين المحتلة : قام الفدائيون مؤخرًا بعمل بطولى داخل مدينة « الخالصة » .. وكبدوا العدو خسائر فادحة فى الأتفس والأموال .

● ما زال العدو الاسرائيلى يعانى من الاضطراب والقلق بعد حرب رمضان وقد استقالت رئيسة وزراء العدو مؤخرًا .

● احتفلت جامعة الكويت فى الشهر الماضى بتوزيع الشهادات على الخريجين فى العام الدراسى ٧٢ - ٧٣ . ويبدو فى الصورة سعادة وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة وهو يسلم شهادة لأحد الخريجين .

● قرر مجلس الوزراء دعم الجامعة الأردنية بمبلغ خمسين ألف دينار للمساهمة فى بعض الانشاءات الجامعية .

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع قانون بمساهمة دولة الكويت فى صندوق الدعم العربى للـدول الافريقية بمبلغ ثلاثين مليون دينار .

● أعلن وزير التربية ووزير الدولة بالنيابة أن الكويت التى قدمت الدعم لسورية ستستمر ، وأن جيشنا يقاتل فى الجولان الى جانب اخوانه .

مصر : أمر الرئيس أنور السادات باهداء الكويت احدى السدابات الاسرائيلية التى غنمتها القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر .

● تجري اتصالات بين القاهرة والدول الاسلامية لانشاء جمعية عالمية تساهم فى انقاذ الآثار الاسلامية على الصعيد العالمى . وسوف تسند رئاسة الجمعية للدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية .

● اشترك فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى مؤتمر المنظمات الاسلامية الذى عقد بمكة المكرمة مؤخرًا .

● زار فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر يرافقه عدد من العلماء جبهة القناة والتقى بالمقاتلين فى مواقعهم داخل سيناء ... وأدى معهم صلاة الشكر ، وصلاة الغائب على أرواح الشهداء فى مدينة القنطرة شرق .

السعودية : أمر جلالة الملك فيصل بمنح الجمعية الاسلامية الايرلندية

مَواقِيتُ الصَّلَاةِ حَسَبَ التَّوَقِيتِ المَحَاي لِدَوْلَةِ الكَوَيْتِ

المَواقِيتُ الشرعية بالزمن الفروي					المَواقِيتُ الشرعية بالزمن الزوالي					أَيَّامُ الأسبوعِ		تاريخُ ١٩٩٢ م	
عشاء	عصر	ظهور	شروق	فجر	عشاء	عصر	ظهور	شروق	فجر	الجمعة	الجمعة	١٩٩٢ م	١٩٩٢ م
دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	١	٢٣	١	الثلاثاء
٩٢١	١٠٥٧	٥٢٩	٩٠٣	٢٣	٧٤١	١١٤٧	٢٢١	٦١٨	٤١	٢	٢٤	٢	الأربعاء
١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣	٤٢	٤٧	٢١	١٩	٤٢	٣	٢٥	٣	الخميس
١٧	٥٢	٢٧	١	٢٣	٤٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	٤	٢٦	٤	الجمعة
١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣	٤٣	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	٥	٢٧	٥	السبت
١٣	٥٥	٢٥	٠٠	٢٣	٤٤	٤٦	٢١	٢١	٤٤	٦	٢٨	٦	الأحد
١١	٤٨	٢٤	٨٥٩	٢٤	٤٥	٤٦	٢١	٢١	٤٥	٧	٢٩	٧	الاثنين
١٥	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤	٤٦	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	٨	٣٠	٨	الثلاثاء
٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤	٤٧	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٩	٣١	٩	الأربعاء
٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤	٤٨	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	١٠	٣٠	١٠	الخميس
٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥	٤٩	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	١١	٢٧	١١	الجمعة
٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥	٤٩	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	١٢	٢٦	١٢	السبت
٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥	٥٠	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	١٣	٢٥	١٣	الأحد
٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥	٥١	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	١٤	٢٤	١٤	الاثنين
٨٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦	٥٢	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	١٥	٢٣	١٥	الثلاثاء
٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦	٥٣	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	١٦	٢٢	١٦	الأربعاء
٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦	٥٣	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	١٧	٢١	١٧	الخميس
٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦	٥٤	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	١٨	٢٠	١٨	الجمعة
٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧	٥٥	٤٤	١٩	٢٨	٥٥	١٩	١٩	١٩	السبت
٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧	٥٦	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٢٠	١٨	٢٠	الأحد
٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧	٥٧	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٢١	١٨	٢١	الاثنين
٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٢٢	١٧	٢٢	الثلاثاء
٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨	٥٩	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٢٣	١٦	٢٣	الأربعاء
٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨	٨٠٠	٤٤	١٩	٣٢	٨٠٠	٢٤	١٥	٢٤	الخميس
٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨	٠٠	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٢٥	١٥	٢٥	الجمعة
٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨	١	٤٤	١٩	٣٣	١	٢٦	١٤	٢٦	السبت
٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩	٢	٤٤	١٩	٣٤	٢	٢٧	١٣	٢٧	الأحد
٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩	٣	٤٤	١٩	٣٤	٣	٢٨	١٢	٢٨	الاثنين
٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩	٤	٤٤	١٩	٣٥	٤	٢٩	١١	٢٩	الثلاثاء
٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩	٥	٤٤	١٩	٣٥	٥				

أم المؤمنين السيدة أم حبيبَةَ رضيَ الله عنها

- اسمها** : رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية .
أمها : صفية بنت أبي العاص بن أمية .
- ولدها** : ولدت قبل البعثة بسبع عشرة سنة .
- اسلامها** : اسلمت هي وزوجها عبيد الله . . وقاست ما قاست من اضطهاد أهلها وتعذيبهم لها .
- هجرتها** : لم تجد بدا من الهجرة بصحبة زوجها عبيد الله الى الحبشة فرارا بدينها . . تاركة الأهل . . مفارقة الديار . . رغم أنها كانت حاملا . . وهناك وضعت ابنتها « حبيبة بنت عبيد الله » . . وصارت تكنى بها « أم حبيبة » . وفي المهجر ارتد زوجها عبيد الله عن الاسلام . . واعتنق النصرانية . . فأصابها هم كبير . . فقد أصبحت وحيدة في دار الهجرة . . حيث فارقتها زوجها . .
- زواجها** : ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنائها أرسل الى النجاشي يطلبها منه فجاءها رسول النجاشي — جارية تدعى (أبرهة) — تقول لها : « ان الملك يقول لك : وكلّي من يزورك من نبي العرب فقد أرسل اليه ليخطبك له » . . فوكلت : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .
فقال له النجاشي : « زوجها من نبيكم » وقد أصدقتهَا عنه أربعمئة دينار » .
وبذلك تم زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- في المدينة** : عادت أم حبيبة رضي الله عنها من أرض الحبشة لتحتفل بالمدينة بها زوجة في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولتكون أما للمؤمنين .
- روايتها للحديث** : روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث . . كما روت حبيبة ابنتها عن زينب بنت جحش أم المؤمنين .
- وفاتها** : رحلت الى جوار ربها في سنة ٤٤ من الهجرة في خلافة معاوية . . ودفنت بالبقيع . رضي الله عنها .

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلت رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

- | | |
|------------|--|
| مصر : | القاهرة : شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة . |
| السودان : | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . |
| ليبيا : | طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . |
| تونس : | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا . |
| المغرب : | الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى . |
| لبنان : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . |
| عُدن : | مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . |
| الأردن : | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) . |
| السعودية : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . |
| | الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . |
| | الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . |
| | الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . |
| | مكة المكرمة : مكتبة الثقافة . |
| المراق : | المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| | بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . |
| | البحرين : |
| | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين . |
| | قطر : |
| ابو ظبى : | الدوحة : مؤسسة العربية — ص.ب : (٥٢) . |
| | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . |
| دبى : | مطبعة دبى . |
| الكويت : | مكتبة الكويت المتحدة . |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

رسول الإنسانية	للمعالى وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية ٤
خواطر في القرآن الكريم	للشيخ على الطنطاوي ٨
نظرات في الحديث	للدكتور محمد عبد الرؤوف ١٥
أصبح ان عقائد الاسلام من أسباب التخلف	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢٢
رسالة الاسلام ونسخها للرسالات	للاستاذ عبد الكريم الخطيب ٢٨
الاقتصاد الاسلامي	للدكتور محمد شوقي الفنجري ٣٥
الاسلام وتحديات القرن العشرين	للدكتور محمود زايد ٤٣
هل نقيّد تعدد الزوجات ؟	للدكتور نور الدين عقر ٤٦
مكتبة المرأة في الاسلام	للاستاذ محمد عبد النعم الفخاني ٥٨
مائدة القاريء	٧٠
الاسلام والصحة النفسية	للاستاذ على القاشي ٧٢
يومان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم	للدكتور محمد الدسوقي ٧٦
أساليب التعليم عند المسلمين	للاستاذ محمد الصبيني عبد العزيز ٨٢
البدن العيني المؤرخ والفقيه	للاستاذ احسان صدقي العميد ٨٨
حمزة السقاء (قصة)	للاستاذ على حسن الشكرجي ٩٤
مكتبة المجلة	اعداد الأستاذ عبد الستار فيض ٩٨
الفناوى	للتحرير ٩٩
بريد الوعي	اعداد : عبد الحميد رياضي ١٠٢
ياقلام القراء	للتحرير ١٠٧
قالت الصحف	للتحرير ١٠٩
الاخبار	اعداد الاستاذ فهدى الامام ١١١
مواقيت الصلاة	١١٣
ام المؤمنين السيدة ام حبيبة رضى الله عنها	١١٤